

ربيع الأول ١٤٠٣هـ ديسمبر ١٩٨٢/يناير ١٩٨٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثالث / المجلد الحادي و الثلاثون

ربيع الأول ١٤٠٣هـ ديسمبر ١٩٨٢/ يناير ١٩٨٣م

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجانا

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: إسماعيل إبراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني أبو كشك

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

صورة الغلاف:

احدى القرى الوادعة في ضواحي خميس مشيط.

تصوير: علي عبد الله خليفة

طباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



٨



١٨

أثر القرآن الكريم في شعر أبي العتاهية

بقلم : د. محمد بن علي الهرفي / الدمام

الدارس لشعر أبي العتاهية يلحظ بسهولة أثر القرآن الكريم في هذا الشعر ، وكانت ثقافة أبي العتاهية الإسلامية أكبر معين له على إيراد المعاني الإسلامية الجميلة في شعره .

وقد فطن بعض الأقدمين إلى تأثر أبي العتاهية بالقرآن الكريم فابن عبد البر صانع ديوانه يقول : « وأشعاره في الزهد والمواعظ والحكم لا مثل لها ، كأنها مأخوذة من الكتاب والسنة ، وما جرى من الحكم على ألسنة سلف هذه الأمة » (١) . ولمّا تنسك أبو العتاهية ابتعد عن رفاق السوء ، وترك شعر الغزل ، وقصر شعره على الزهد ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق . ويروي الأصفهاني أن هارون الرشيد الخليفة العباسي حاول أن يثنيه عن عزمه فلم يفلح ، فيقول له « لمّا تنسك أبو العتاهية ، ولبس الصوف ، أمره الرشيد أن يقول شعرا في الغزل ، فإمتنع فضربه الرشيد ستين عصا ، وحلف أن لا يخرج من حبسه حتى يقول شعرا في الغزل ، فلما رفعت المقارع عنه قال أبو العتاهية : كل مملوك له حر ، وامرأته طالق ، إن تكلم سنة إلا بالقرآن ، وبلا إله إلا الله ، محمد رسول الله » (٢) وقد تكون هذه الرواية من صنع بعض الملفقين ، ولكنها تدل على مدى تمسك أبي العتاهية بالقرآن الكريم ، والمعاني الإسلامية الصافية عموما .

وقبل أن ندخل في صلب موضوعنا أود أخي القارىء أن أعطيك نبذة عن أبي العتاهية – الشاعر الزاهد – وعن زهده وما قاله الأقدمون والمحدثون عن هذا الزاهد .

وشاعرنا يسمى اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان وهو من موالي عنزه ، وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي من موالي بني زهرة . وأبو العتاهية لقب غلب عليه لإضطراب كان فيه ، أو لكونه كان ماجنا في بداية حياته ، عابثا في مجونه فكني بأبي العتاهية (٣) .

وقد ولد الشاعر في بلدة عين الشمر سنة ١٣٠ هـ ، وهذه البلدة تقع بالقرب من الكوفة ، ونشأ نشأة فقيرة ، فوالده كان يعمل حجاما ، ولم يكن أبو العتاهية يعيب هذا العمل إذا كان صاحبه تقيا ورعا ، ولذا نراه يقول :

ألا إنما التقوى هو العز والكرم
وحبك للدنيا هو الذل والعدم
وليس على عبد تقي نقيصة
إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم (٤)

(١) أنظر : مقدمة الديوان بتحقيق شكري فيصل ص/٣٧ .
(٢) الأغاني ، ج/٣ ، ص/١٤٠ .
(٣) أنظر ترجمته بالتفصيل في الأغاني ٣ /١٢٦ ، وفيات الأعيان ١ /٢١٩ ، شذرات الذهب ٢ /٢٥ ، تاريخ بغداد ٦ /٢٥٠ ، الأعلام ١ /٣١٩ وغيرها .
(٤) أنظر : ديوان أبي العتاهية بتحقيق شكري فيصل ص/٣٤٨ .

وفي صغره كان أبو العتاهية يبيع الجرار في أسواق الكوفة ، ولكن فقره لم يحل دون استفادته من علوم عصره فتدل الروايات التاريخية على أنه كان يحضر حلقات العلم في مساجد الكوفة ويحاول الاستفادة منها في تنمية مداركه العلمية .

وينقل صاحب الأغاني رواية عنه تدل على طول باعه في الشعر منذ صغره ، فقد مر أبو العتاهية على فتيان يتناشدون الشعر فسلم عليهم وقال : إني أراكم تذاكرون الشعر أفأقول شيئا منه تجيزونه فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم .. فهزأوا به وسخروا منه ، وقالوا : نعم . قال لهم : « ساكني الأجداث أنتم » ويعطيهم وقتا لذلك فيعجز هؤلاء الفتية ، فلما رأى ذلك منهم أجازه هو بقول :

ساكني الأجداث أنتم مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعري ما صنعتم أربحتم أم خسرتم (٥)

ويكسب شاعرنا الرهان وهو مايزال في سني حياته الأولى .

وبعد فترة من الزمن دعاه إلى بغداد صديقه إبراهيم الموصلي الذي كان قد اشتهر أمره في بغداد في خلافة المهدي ، فأسرع أبو العتاهية إلى بغداد ومدح المهدي ، وذاع صيته بعد ذلك وأصبح له مكانة كبيرة عند خلفاء بني العباس .

زهده

يذكر بعض المؤرخين أن أبا العتاهية مال إلى الزهد في وقت متأخر من حياته . ويجعل شوقي ضيف هذا التحول في خلافة الرشيد فيقول : « وفي خلافة الرشيد سنة ١٨٠ هـ نرى الشاعر يتحول من حياة المجون إلى حياة الزهد والتقشف ، ويبدأ في قول شعر الزهد ، وذكر الموت ، والثواب والعقاب ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق » (٦) .

ويبدو أن ابتعاده عن أقرانه من الشعراء بسبب مجونهم وزهده جعلهم يحقدون عليه ، فرموه بالزندقة ، والانحراف من جادة الصواب . وقد أشار ابن عبد البر صانع ديوانه إلى هذه النقطة فقال : « وكان بعض من مال به هواه إلى المجون ، وغلب عليه في ذلك الجنون ، يمقت أبا العتاهية ، ويحسده ويغتابه لانصرافه عن طبقته من الشعراء المستخفين ، إذ بان له من ضلالهم ، ما زهده في أفعالهم ، فمال عنهم ، ورفض مذاهبهم ، وأخذ في غير طريقهم ، وتاب توبة صادقة ، وسلك طريقة حميدة ، فزهد في الدنيا ، ومال إلى الطريقة المثلى ، وداخل العلماء والصالحين ، ونور الله تعالى قلبه ، فشغله بالفكرة في الموت وما بعده » (٧) .

(٥) الأغاني ٣ /٢٤٩ .
(٦) العصر العباسي الأول ، ص/٢٣٧ .
(٧) مقدمة الديوان ، ص/٣٧ .

ان حقيقة زهد أبي العتاهية قضية لا يرقى إليها الشك ، فبالإضافة إلى اشارة المؤرخين القدامى إلى هذه الحقيقة فإن ديوانه كله ، وأرجوزته الشهيرة التي تقع في أربعة آلاف بيت تعطي الدلالة القطعية على حقيقة ايمانه وزهده في هذه الحياة ، وأرجوزته التي أشرت إليها كلها حكم وأمثال ودعوة إلى مكارم الأخلاق ، كقوله فيها :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من أتقى الله رجا وخافا
ما تطلع الشمس ولا تغيب إلا لأمر شأنه عجيب
مازالت الدنيا لنا دار أذى ممزوجة الصفو بألوان القذى

إن زهد شاعرنا جعله يتخذ من القرآن الكريم هاديا له في شعره ، فأخذ من معاني القرآن الكريم الشيء الكثير ، بل وأقتبس منه آيات بنصها ، فضمنها شعره ، فكان شعرا فريدا في نوعه وكان هذا الشعر علامة على الشاعر دون سواه من الشعراء .

وموضوعنا ليس الحديث عن تأثر الشاعر بالقرآن الكريم على وجه الإجمال ، فديوانه كله من هذا النوع ، ولكني سأشير إلى بعض الأبيات الشعرية التي ضمنها الشاعر آيات من القرآن بنصها كما وردت في القرآن الكريم .

تحدث الشاعر عن أهوال يوم القيامة في مواضع متعددة من ديوانه . ففي هذا اليوم تأتي كل نفس ومعها سائق وشهيد ، فيقول :

ليت شعري وكيف حالك يا نفـ ـسى غدا بين سائق وشهيد

ونحن نلاحظ أن الشطر الثاني مأخوذ من القرآن الكريم حيث قال تعالى في سورة (ق) آية ٢١ : « **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** » . ويذكر الشاعر أن الانسان يأتي يوم القيامة وحيدا عند ربه ليحاسب على أعماله ، فيقول :

تموت فردا وتأتي يوم القيامة فردا

والشطر الثاني مأخوذ بنصه من سورة مريم آية ٩٥ من قوله تعالى : « **وكلهم آتيه يوم القيامة فردا** » . وفي يوم القيامة كذلك تكون مراتب الناس على قدر أعمالهم في الدنيا وليس بحسب مكانتهم فرب فقير في الدنيا لا يملك منها إلا أطمار بالية يكون يوم القيامة في أحسن الأماكن وأرفعها . ويقتبس الشاعر هذا المعنى من القرآن الكريم من قوله تعالى : « **ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة** » فيقول :

ألا رب ذي طمرين في مجلس غدا
زرابيه مبثوثة ونمارقه

وعن صفات الله عز وجل يتحدث الشاعر ويضمن هذا الحديث كذلك آيات قرآنية وربما أخذ سورة فصاغها شعرا كسورة الإخلاص حيث يقول :

شهدنا لك اللهم أن لست والدا ولكنك المولى ولست بمولود

ويقول في موضع آخر :

الحمد لله الواحد الصمد هو الذي لم يولد ولم يلد

ومن صفات الله كذلك أنه الأول والآخر والظاهر والباطن ، وقد وردت هذه الصفات في قوله تعالى في سورة الحديد : « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** » . وقد أخذ أبو العتاهية هذه الصفات القرآنية فضمنها قوله :

سبحان من ألهمني حمده ومن هو الأول والآخر
ومن هو الدائم في ملكه ومن هو الباطن والظاهر

ويتحدث الشاعر عن الدنيا فيذكر أنها قصيرة الأجل وأن الناس يتفرقون فيها بسرعة لأنها ليست دار اقامة ، ومادامت هكذا فيجب على الإنسان أن يحسن فيها العمل وأن يجعل عاقبة أمره لله ، فيقول :

لله عاقبة الأمور جميعا أخشى التفرق أن يكون سريعا
أفتأمن الدنيا كأنك لا ترى في كل وجه للخطوب صريعا

والشطر الأول من البيت الأول مأخوذ من القرآن الكريم من قوله تعالى في سورة لقمان آية ٢٢ : « **ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور** » .

ويحث الشاعر على الإنفاق في سبيل الله ويذكر المنفق أنه يجب أن لا يتبع نفقته بالمن على من يعطيه بعض ماله لأن في هذا المن إيذاء ينافي الإسلام ، فيقول :

لا تتبعن يدا بسطت بها معروف منك أذى ولا منا

وهذا المعنى الذي أشار إليه أبو العتاهية أخذه من القرآن الكريم من قوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٦٢ : « **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » .

هذه اشارات خفيفة إلى تأثر أبي العتاهية بالقرآن الكريم وإلا فأبياته التي ضمنها آيات من القرآن الكريم كثيرة جدا ، ومن المعروف أن شاعرنا ليس أول من أخذ بهذا المذهب وإن كان لا ينازعه فيه منازع فهو من أكثر وأبرز من أجاد فيه وأكثر منه . فهناك أبيات لشعراء سابقين تضمن آيات قرآنية منها قول لأبي دلامة :

أيا مجرم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد

أخذ هذا المعنى من قوله تعالى : « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » .. ومن ذلك أيضاً قول أبي تمام :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثان إذ هما في الغار

وهذه الأبيات لا ترقى لأن تكون عند أصحابها ظاهرة واضحة كما نشاهدها عند أبي العتاهية الذي جعل ديوانه كله زهدا مستمدا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف □

تجربة التعريب في سورية

بقلم: د. سعيد محمد الحفار / دمشق

إن امتنا العربية التي أسهمت عبر التاريخ في إثراء الحضارة والفكر البشري ، مدعوة إلى أن تستأنف هذا الإسهام . ولا يتأتى ذلك إلا بنشر المعرفة وتأصل الروح العلمية في الفكر العربي ، وبما يتبع ذلك ويقتضيه من تطوير للسلوك يؤدي إلى حسن الاستجابة لدواعي التقدم والمشاركة الفردية والجماعية في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي وخلق مناخ تزدهر فيه العلوم وتطبيقاتها .

والأمر في جملته ، متوقف على قيام أجهزة وطنية ترسم السياسة التعليمية والعلمية وترجمها إلى برامج متكاملة ومنسقة للتعليم وللبحث العلمي ، تخدم التنمية الاجتماعية والاقتصادية .

ولاشك أننا محتاجون ، في البداية ، إلى استيراد التقنية واقتراض مادتها العلمية ، حتى إذا تأصلت روح العلم ووجد البحث العلمي أمكن للأفراد العلميين في هذا الوطن أن يبدعوا تقنية عربية من أرض الوطن ، وتنبع من مشكلاتها ذاتها .

ولكن هذه الآمال العريضة مرهونة بالأداة الأولى في كل حركة علمية ، أي مرهونة باللغة التي تؤدى بها المعرفة وتنقل العلوم وتستحدث الدراسات وتوصل البحوث .

ولن يتأتى للغة غريبة أن تفعل ذلك ، إلا إذا استطاع العلميون أن يعبّروا عن أفكارهم بلغتهم القومية ، إلى من هم دونهم في المستوى العلمي ، الذين يعتبرون هم المحرك الأساسي لدفع عجلة التنمية إلى الأمام .

ومن هنا تواجهنا في وطننا العربي قضية كبرى ، هي قضية التعريب .

ان قضية التعريب ذات أوجه كثيرة .. منها ما يتصل بتعليم اللغة العربية وأسلوب هذا التعليم .. ومنها ما يتصل بقدرة اللغة العربية ذاتها على مسايرة الكشوف العلمية المستحدثة .. ومنها ما يتصل بالمصطلحات إبداعا وتنسيقا .. ومنها ما يتصل بضعف القدرة على استعمال اللغة العربية عند بعض الأفراد العلميين المتخصصين .. ومنها ما يتصل بالتعريب في التعليم العالي .

وقد أثارت بعض وثائق اليونسكو هذه القضايا ، وجاء في وثيقة العمل الأساسية (الجزء الثالث - الفصل الأول - الفقرة (٢١١ - ٢١٨) تحليل لمعظم المشكلات الرئيسية التي يثيرها استخدام اللغة العربية في التعليم العالي العلمي نوجزه في المقاطع التالية :

« ان الصعوبة الكبرى في موضوع التعريب تتمثل فيما يلي :

- قصور الاصطلاح العربي المعاصر الذي يتسبب عدم نظامه ، وكذا فراغه وعدم توحيده ، في اضطراب الاتصال والمتابعة ، بحيث يصبح في كثير من الحالات عائقا في عمليات الترجمة الدقيقة للتراث العلمي والتكنولوجي في العالم المتحضر .
- ان تعليم اللغة العربية تعليم جامد وقديم يتطلب سنوات باهظة التكاليف وقليلة النتائج وضعيفة المردود . وليس العجز عائدا للغة بقدر ما هو عائد إلى أسلوب عقيم في تعليمها ، جعل اللغة تأخذ طابع العجز في ظاهرها .
- قلة الترجمات وفقرها ، وقلة المراجع والمؤلفات العلمية .
- عدم وجود منطلقات واحدة للاصطلاح العلمي ، وانعدام التنسيق بين المعنيين في هذا المجال .
- عدم توفر معاجم كافية تجمع كافة هذه المصطلحات وفق التخصصات .. إلى آخر ما أوضحته الوثيقة المذكورة . ولابد هنا من مناقشة أبرز الصعوبات التي تواجه عملية التعريب في البلاد العربية ، وهي ضعف النظرية وسوء المنهج وبطء العمل .

إن هذا البطء هو الذي جعل اللغة العربية بعيدة عن مسايرة اللغات المتقدمة في العلوم والتقنيات ، وفي خلال نصف قرن لم يتجمع لدى الهيئات المختلفة التي عملت في التعريب أكثر من مائة ألف كلمة على حين يتضمن معجم أوروبي صغير للمصطلحات التقنية مثل هذا العدد (١) .

ويقدر العارفون أن الوطن العربي يضع ٢٥٠٠ مصطلح سنويا بينما تضع فرنسا ٥٤٧٥ مصطلحا فرنسيا لمقابلة المصطلحات الأجنبية ومع ذلك فإنها ترى أن هذا العدد قليل جدا بالنسبة إلى سرعة تقدم العلوم (٢) مع العلم أن فرنسا أنشأت خصيصا للدفاع عن لغتها ووضع المصطلحات ما لا يقل عن (٥٥) جمعية ومؤسسة تحت اشراف رئيس الجمهورية .

وجدير بالذكر أنه يولد كل سنة ما لا يقل عن ٧٣٠٠ من المصطلحات الجديدة في كافة العلوم . فإذا كان العرب لا يضعون أكثر من ٢٥٠٠ مصطلح وإذا كان الاختلاف لايزال على أشده بين دولة وأخرى حول تبني هذه المصطلحات . فإن علينا أن نعلم أن ما يجب على هذه الدول العربية أن تفعله هو تخصيص هيئات على أعلى مستوى تكون قادرة على وضع ما لا يقل عن ١٠٠٠٠ مصطلح ، لا لمسايرة ركب الحضارة بل لإدراك ما ينقصنا من مصطلحات .

قد يقال أننا لسنا وحدنا في هذا القصور ، وأن فرنسا وأمما أخرى تعاني مثل ذلك . ولكن هذا التفكير ينطوي على مغالطة لأن هذه الأمم تريد أن تلحق بالتقنيات الرائدة بينما علينا أن نلحق بالتقنيات الأساسية التي ظهرت منذ الثورة الصناعية في القرن الماضي .

وبعبارة أخرى إذا كانت فرنسا تبحث عن ألفاظ للدلالة على أجزاء الصواريخ والمفلكات (الأقمار الصناعية) على حد تعبير الأستاذ غزال فنحن مازلنا لم نضبط الألفاظ الخاصة بأنواع اللوالب والمسامير ، فكلها عندنا لولب أو مسمار .

(١) قاموس المصطلحات التقنية فرنسي - انكليزي ، انكليزي - فرنسي - بقلم كيتريدج ، لندن ١٩٦٥ ، عن الأستاذ أحمد الأخضر غزال في كتابه « منهجية جديدة لوضع المصطلحات العربية » وهو يعطي أرقاما مذهلة عن قصور العمل في المصطلحات .

(٢) مجلة الحيـاة واللغة ، ص/ ١٢٥ .

ومما يدل على أننا لانزال وراء ركب الحضارة ما ذكر الأستاذ غزال كذلك في مجلة البحث العلمي في عام ١٩٧٦ م عندما قارن بين ما يتلقاه التلميذ العربي في مدرسته وما يتلقاه التلميذ الأوروبي في ذات المستوى . فقد وجد أن الطفل العربي يتلقى أربعين بالمائة من المفاهيم التي يتلقاها نظيره الأوروبي .

وهكذا يتبين أننا نعاني تأخرا مزدوجا .. في رفع مستوى التعليم من جهة وفي وضع المصطلحات من جهة أخرى .

ومن جهة الصعوبات التفاوت في درجات التعريب في البلاد العربية والتفاوت في مدى تبينه . فهنالك أقطار كالسودان تدرس معظم العلوم باللغة الأجنبية وأقطار أخرى تدرس نصف العلوم باللغة الأجنبية ونصفها بالعربية . ناهيك أن جامعات المغرب العربي لاتزال في بداية الطريق في مجال التعريب .

ومثل هذا التفاوت يجعل العمل في التعريب عملا متعثرا . لا تنهض به البلاد العربية كلها دفعة واحدة . ولا تجند له قواها كلها .. وإنما ينهض به هذا القطر أو ذاك في هذا الفرع من فروع المعرفة أو ذاك .. على حين تبين لنا الحاجة ماسة إلى تكاتف الجهود حتى نستطيع أن نلحق بالركب الحضاري وأن نعوض قرون التخلف السابق وأن نماشي الحركة الحضارية التي تقفز هذا القفز السريع .

ان قطرا واحدا مهما يكن من غيرته على العربية لا يستطيع أن ينهض بعبء عملية التعريب .. ولذلك يجب أن تأخذ البلاد العربية بسياسة واحدة . وأن تتبنى مبدأ التعريب وأن تبذل جهودها مشتركة فيه . وأن تخصص له ما تملك من قوى تتعاون جميعها على ذلك .

ومن حسن الحظ أن هناك عددا كبيرا من المختصين في البلاد العربية من أصحاب الثقافات المختلفة : الفرنسية والانجليزية أو غيرهما .. وفي وسع هؤلاء أن يتكافأوا على العمل المشترك .

ومن الصعوبات التي تواجه التعريب غياب التنسيق والتوحيد بين ما تم من تعريب المصطلحات حتى اليوم .

لقد أصبح اختلاف المصطلحات العلمية داء من أدواء لغتنا الضارية يسد الطريق على الجهود المبذولة . وهذا الداء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في البلاد العربية وكثر فيها عدد نقلة العلوم الحديثة وعدد المؤلفين في تلك العلوم .

ولعل من أهم الأسباب في اختلاف المصطلحات فقدان الاتصال بين المؤلفين في مختلف الأقطار العربية . وقد أشار إلى ذلك الأمير مصطفى الشهابي في عدة مناسبات .. ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الأقطار الأخرى عنها شيئاً .. حتى أن الخلاف يقع بين جامعات من قطر واحد بل بين أقسام من كليات الجامعة الواحدة .

ان الحاجة إلى توحيد ما تم وضعه من هذه المصطلحات حاجة ماسة وذلك حتى يمكن البدء من نقطة مشتركة . وحتى لا يكون العمل بعد ذلك مدعاة إلى اتساع الهوة . ولذلك فإن هذا الموضوع أدرج رسميا في جدول أعمال المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الاسكندرية في أيلول ١٩٥٣ م ولكننا لم نتقدم كثيرا منذ ذلك الموعد .

غير أن كل هذه المشكلات ليست عسيرة الحل إذا رافق معالجتها الإيمان بأن استعمال العربية يؤكد جوهرية الاستقلال ، ويدفع عجلة التقدم العلمي ، وأن معالجة تلك المشاكل أمر ممكن .

ولقد تجلى واضحا في المؤتمرات التي عقدتها الدول العربية بشأن البحث العلمي والسياسات العلمية أن الإيمان باستخدام هذه اللغة العربية الفصحى الأصيلة في التعليم العالي بوجه خاص قد أضحى عميق الجذور ولا يمكن للوطن العربي أن يحيد عنه .

وكانت آراء الوفود كلها في مؤتمر وزراء الدول العربية المسؤولين عن تطبيق العلوم والتكنولوجيا على التنمية (الرباط ١٦ – ٢٥ آب « أغسطس » ١٩٧٦ المعروف باسم كاستعرب) قد أجمعت على أن استعمال اللغة العربية في التعليم العالي ضرورة لا ينبغي أن يجادل فيها أحد وقد دارت المناقشة حول هذا الموضوع في وضوح وصفاء بعد أن ذكرت الأسباب العائدة إلى عدد من المبادىء وإلى الواقع الذي يؤيد هذه الضرورة والتي جاء منصوصا عليها في شتى الوثائق المتعلقة بالموضوع . وكان أهمها :

- أنه ليس هنالك لأي شعب من الشعوب استقلال حقيقي مادام العلم والتكنولوجيا – وهما الوسيلتان اللتان يجب أن تساهما في التنمية الاقتصادية والاجتماعية – منوطين بلغة أجنبية عنه .
- أن وجوب الحصول على تكوين علمي أو تكنولوجي في مستوى عال عن طريق لغة أجنبية ليؤدي بالفرد وبالمجتمع المهني كله الذي ينتمي إليه ذلك الفرد ، إلى ازدواجية ثقافية ونفسية سيئة العاقبة .
- كما تؤدي هذه الازدواجية ، إلا فيما قل ، إلى النزاع بين العلم واللغة العربية ، مما يؤدي بدوره إلى إهمال التراث الثقافي ، وقيم الماضي ، وإلى انفصال بين ميدان من نشاط الفكر الانساني يجب في نظرنا أن يكونا متكاملين .
- لقد واجه أجدادنا هذا المأزق من قبل فتخلصوا منه بجد عجيب . كان له من المجد ما جعلهم أرباب هذا العلم نفسه . الذي علينا اليوم أن نضطلع به من جديد بلغتنا .
- لغتنا العربية أداة كاملة الصلاح . من حيث البنيان ومن حيث المعجم لتستوعب تمام الاستيعاب المحصول العلمي والتقني الحديث

وليس أدل على هذه الكفاءة للغتنا العربية من التجربة الرائدة للقطر العربي السوري الذي عمل ولايزال على تعليم العلوم كلها باللغة العربية .

وهدف هذا المقال أن يعرض لهذه التجربة ، انارة للطريق أمام أبناء الأمة العربية الذين يتطلعون إلى تحقيق طموح لغتهم أن تكون لغة العلم والحضارة .

وقد حرصت على ايضاح الجانب التاريخي غير المرئي من هذه التجربة ، واستقيت ذلك من مصادره المباشرة . ويمكن أن نتلمس مصادر التجربة في نوعين من المصادر ، مصادر شفوية ومصادر مكتوبة ، والمصادر الشفوية تتمثل في الحوار مع الأحياء من أصحاب هذه التجربة واستنطاقهم بما عندهم ، واجتلاء خطواتهم ، والاستنارة بآرائهم . والمصادر المكتوبة تتمثل في هذه المؤلفات الكثيرة المطبوعة التي يتداولها آلاف من الطلاب في الجامعات الثلاث : جامعة دمشق ، وجامعة حلب ، وجامعة تشرين في اللاذقية ، والتي تناولت كل فروع المعرفة العلمية .

وقد آثرت أن أبدأ بالمصادر الشفوية ووجدت عند الأستاذ الدكتور والشيخ الوقور أحمد حمدي الخياط ، رحمه الله ، هذا المصدر الرئيسي الذي استطيع أن أفيد منه .

قصدت إليه في بيته فأتاح لي حصة طيبة من وقته ، وحدثني عن حركة تعريب العلوم ، عن دوافعها وعن ولادتها وعن تطورها ، وأطلعني على باكورات انتاج التعريب وكيف أسهم فيه مع عدد من زملائه الرواد الأوائل الذين اندفعوا في تحقيق مبدأ اعتنقوه على الرغم من عدم توفر المناخ المناسب آنذاك لهذه الحركة .

لقد ابتدأت حركة التعريب منذ أواخر العهد العثماني ، ردّ فعل لما بدا عند اعضاء جمعية الاتحاد والترقي من مظاهر العنصرية والإلحاد .. فقد أثار ذلك غيظ الطلاب الذين كانوا يدرسون علم الطب آنذاك ١٩٠٢ — ١٩٠٣ في المدرسة الطبية العثمانية التي كان مركزها دمشق (٣) وكان من تلاميذها الدكتور جميل الخاني ، والدكتور أحمد حمدي الخياط ، والدكتور أديب الجعفري ، والدكتور نديم الحصني وغيرهم ، وصادف أن مادة التشريح كانت في معظمها عربية الألفاظ ولم يكن دور اللغة التركية فيها إلا الربط بين الأسماء . ولكن الأساتذة الأتراك حاولوا — تحت تأثير شعور عنصري — أن يجعلوا تلك التسميات في علم التشريح تسميات تركية ، مما حرك نفوس الشبان العرب فاتفقوا فيما بينهم على الحفاظ عليها عربية بل حاولوا تعريبها كلها . فلما انتهت الحرب وانقضى العهد العثماني وأصبحت المدرسة تعرف باسم المعهد الطبي العربي — بإشارة من الملك فيصل — انبرى الخريجون إلى تعريب كافة المقررات وصمموا على تدريسها باللغة العربية .

أخذ كل من الخريجين الذين عينوا كأعضاء هيئة التدريس في المعهد الطبي العربي ، يعمل جاهدا على تعريب المقرر الذي أسند إليه بجهد شخصي وسعي مثابر .. فعمل الدكتور عبد القادر سرّي على تعريب مقرر التشريح ، وعمل الدكتور أحمد حمدي الخياط على تعريب مقرري الجراثيم والطفيليات ، وعلم الصحة ، وعمل الدكتور جميل الخاني على تعريب مقرر النسج .

أما الدكتور خاطر — الذي لم يكن من خريجي المدرسة الطبية العثمانية وإنما كان أحد خريجي المعهد الطبي الفرنسي في بيروت — فقد عمل بجد في موضوع التعريب ، واعتبر من أوائل الرواد بسبب معرفته للتركية والفرنسية ، وكان من أكثر زملائه جهدا وانتاجا . وتضامّت جهوده مع جهود زميليه الدكتورين خاني وخياط ، وتكوّن من هذه الخاءات الثلاث أول جمعية لتعريب العلوم .

ثم عمل الدكتور مرشد خاطر على إصدار مجلة عرفت باسم « مجلة الصحة العمومية » شارك في تحريرها عدد من الاخصائيين أبرزهم الدكتور حكمت المرادي ثم تحولت هذه المجلة إلى « مجلة المعهد الطبي العربي » وجعلت من هدفها نشر البحوث والمقالات الطبية من جهة ونشر ما ينتجه الأساتذة العاملون في المعهد من مصطلحات يطلع عليها الآخرون ويناقشون فيها ، من جهة أخرى ، إذ كان كل منهم يسعى أن يتعمق في مجال المقرر الذي وكل إليه ، وقد لبث الدكتور مرشد خاطر يتعهد المجلة اثنين وعشرين عاما (١٩٢٤ / ١٩٤٦) وقد ذاع صيتها في البيئات العلمية العربية وكانت أداة فعالة في وضع المصطلح الطبي ونشره .

ويجدر أن نذكر هنا أنه في تلك الفترة كانت قد وضعت بعض الكتب بالعربية في بعض المواد التي كان للعرب فيها عهد ومشاركة كالفيزياء والكيمياء . ولكن علما مثل علم الجراثيم كان يعتبر آنذاك علما حديث العهد لم تبذل فيه جهود عربية ، ولم تكن هناك أية محاولة من هذا القبيل .. فكان الدكتور أحمد الخياط الرائد الأول في تعريب علم الجراثيم والطفيليات ، وكان يعدّ للطلاب ما يشبه الأملية ، يعربها — باجتهاده الخاص — عن التركية والفرنسية ، يلتقطها الطلاب ويتداولونها فيما بينهم . ولنا أن نتصور الصعوبات التي كان يلاقيها المعرب آنذاك في علم لم يحاول أحد حتى في مصر أن يتناوله بالتعريب .

وقد عمل أصحاب الخاءات الثلاث (خياط وخاني وخاطر) عددا من السنوات ثم ترك الدكتور خاني المعهد وبقي زميلاه يتابعان موضوع التعريب كل في ساحته ، وانضم إليهما بعد سنين أحد الخريجين من تلامذتهم هو الدكتور صلاح الدين الكواكبي وتألفت من ثلاثتهم (خياط — خاطر — كواكبي) لجنة هي الأولى من نوعها في مجال التعريب في سورية ، كانت تهدف إلى دراسة مصطلحات الطب ومراقبة مصطلحات العلوم الأخرى من كيمياء وفيزياء .

ولم يكن لهذه اللجنة صفة رسمية ولكن الدكتور (٤) سبح ، الذي كان تلميذا للدكتورين خياط وخاطر — وقد أصبح رئيسا للمعهد الطبي العربي — وأعطى هذه اللجنة صفة رسمية ، فكانت أول جمعية لتنسيق المصطلحات العلمية .

وفي تلك الحقبة كان المعهد قد أوفد أحد خريجيه (هو الدكتور سقا أميني) لدراسة الأشعة في فرنسا ، فعاد يحمل معه معجم الأستاذ (كلير فيل — Cleir Ville) باللغات الفرنسية ، والانجليزية ، والألمانية ، واللاتينية ، فعملت الجمعية المذكورة على تعريبه بموافقة من صاحب المعجم وطلب منه ، فكان هذا المعجم أول معجم رسمي في الطب .

وقد عمل المعهد الطبي العربي آنذاك بتوجيه من رئيسه الدكتور حسني سبح على إلزام المؤلفين بجمع كافة المصطلحات المعربة التي يستخدمونها في مسرد آخر ، كل كتاب يطبعونه . وقد جمع الدكتور الخياط المصطلحات التي اجتهد فيها في كتاب صغير بعث به إلى مجمع القاهرة وإلى بعض العلماء المعروفين من مثل الأب انستاس الكرملي في العراق .

ولم يقتصر الأمر على وضع المصطلحات وإنما كان يواكب هذه الحركة حركة أخرى واسعة في التأليف في المقررات المختلفة ، وكان من أظهر المؤلفات الطبية بالعربية الكتاب الذي ألفه الدكتور مرشد خاطر في علم الجراحة في ستة مجلدات ، أوجزها في اثنين فيما بعد ،

(٣) نقلت هذه المدرسة إلى بيروت خلال الحرب العالمية الأولى ، ولكنها أعيدت إلى دمشق بعد ذلك وعرفت في عهد الملك فيصل ١٩١٩ باسم المعهد الطبي العربي ، ثم تحولت إلى كلية الطب ، وكانت احدى كليتي الجامعة السورية : كلية الطب وكلية الحقوق ، ثم صارت الجامعة السورية جامعة دمشق بعد تأسيس جامعة حلب .

(٤) الدكتور حسني سبح من الرواد الأوائل في التعريب ، وهو أستاذ متقاعد في كلية الطب بجامعة دمشق ويشغل حاليا منصب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

والكتاب الذي ألفه الدكتور حسني سبح في الأمراض الباطنية في عدد من المجلدات . والكتاب الذي ألفه الدكتور الكواكبي في الكيمياء .. وعدد كبير آخر من الكتب التي ألفها الأساتذة الآخرون . لا نقصد هنا إلى احصائها أو النص على أسمائها كلها .

وهكذا يبدو أن كلية الطب في جامعة دمشق كانت سباقة في ميدانين : ميدان وضع المصطلحات والمعاجم . وميدان تأليف الكتب الطبية بلغتنا الضادية .. وذلك ما قاد بعد إلى تعميم التجربة في الكليات الأخرى . وقد مضى على إنشاء هذه الكلية أكثر من ثمانية وأربعين عاما وهي ثابتة على تعليم العلوم بالعربية والتأليف فيها مما يقف برهانا واضحا على أن هذه اللغة لا تعجز عن مجاراة اللغات الأخرى إذا ما تعهدها أبناؤها وأخلصوا لها . ومن المؤكد أن مستوى الخريجين في هذه الكلية لا يقل عن مستوى خريجي الكليات التي تعلم بلغات أجنبية في كثير من البلدان العربية .

ولم تقف تجربة التعريب في التعليم العالي عند كلية الطب . وإنما تناولت كذلك كلية الحقوق . فقد عمد أساتذتها إلى تأليف كثير من الكتب في مختلف فروع القانون ووضعوا كثيرا من المصطلحات الدقيقة . ونقلوا القوانين عن لغات أجنبية . كانت الفرنسية هي الغالبة . فكان ذلك جهدا قيما . هذا على الرغم من وجود عدد من المقابلات العربية السقيمة التي كانت سببا في الاختلاف على بعض المصطلحات الحقوقية في الكتب الحديثة . وذلك لا يعود بحال إلى ضعف اللغة العربية التي تملك كنوزا في مجال الشريعة والقانون . وإنما يعود إلى ضعف بعض النقلة وعدم تدقيقهم وإلى عدم الاتفاق على مقابلات بعض المصطلحات الموجودة في اللغات الأجنبية .

هذا كله عن تجربة التعريب في الجامعة السورية القديمة .

أما بعد أن استكملت الجامعة فروعها في أعقاب الاستقلال فقد امتد التعريب إلى كل الكليات الجامعية الجديدة : كلية العلوم بفروعها المختلفة . وكلية الهندسة . وكلية الزراعة .

ففي كلية العلوم مثلا التي أنشئت سنة ١٩٤٥ م اضطرت الجامعة في البداية إلى الاستعانة بعديد من الأساتذة الأجانب . وكان معظمهم فرنسيين فقاموا بأعباء التدريس بالفرنسية في المواد التي أسندت إليهم . غير أن الأساتذة العرب – وفيهم مصريون وسوريون – عملوا ما في وسعهم خلال سنوات قلائل لتدريس كافة المواد في باللغة العربية ولم يبق للغة الأجنبية إلا المقررات التي لم يكن بين أبناء العربية من ينهض بها .

وقد جهد أعضاء الهيئة التدريسية في تعريب المصطلحات في شتى الفروع حتى بات التعليم كله بالعربية ووضعت آلاف المصطلحات وألفت عشرات من الكتب فكان ذلك كله دفعا لعملية التعريب في الأقطار العربية الأخرى . ومازالت كلية العلوم مصدرا يغذي الكليات والمعاهد المماثلة في البلاد العربية بالأساتذة الجامعيين الذين يدرّسون بالعربية .

ولابد لنا هنا ونحن نتحدث عن رواد حركة تعريب المصطلحات من أن نذكر بكل فخار وإجلال الأعمال القيمة التي نهض بها مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقا) . لقد تأسس المجمع على شكل لجنة سنة ١٩١٩ . ثم أضحى ذا شخصية اعتبارية واستقلال إداري ومالي . واتخذ المدرسة العادلية – قبالة المدرسة الظاهرية – مقرا له وعكف على أداء مهماته التي كان في عدادها موضوع اللغة والمصطلحات . وأعار المصطلح العلمي اهتمامه وكانت له اليد الطولى في حل كثير من المشكلات التي تعترض المتخصصين العلميين . وأشهر من عمل في نطاق المجمع ومجلته المعروفة الأساتذة أمين المعلوف في النبات . وجميل الخاني في الطبيعة . وداود شلبي في الجواهر . وحسني سبح ومرشد خاطر وحمدي الخياط في الطب . وصلاح الدين الكواكبي في الكيمياء . والأب الكرملي في مواضيع علمية شتى . وإلى الأمير مصطفى الشهابي يعود الفضل الأول والأخير في علوم الزراعة ومصطلحاتها إذ نشر ما لا يقل عن خمسين دراسة وبحثا في المصطلحات تخص تصنيف الأحياء والفقاريات والفصائل النباتية وأسماء الثمار . وبذلك كان للمجمع فضل كبير في تنمية اللغة واعطاء الدليل تلو الدليل على قدرتها واستيعابها للجديد في المجال العلمي .

لقد برهنت تجربة التعريب هذه في سورية في نطاق المصطلحات والمؤلفات الوفيرة على أن تعريب التعليم العالي أمر ممكن إذا صدقت الجهود فيه .

ان هذه التجربة جاءت – في مسارها التاريخي – امتدادا لما بذلته الأمة العربية أيام الأمويين ثم أيام العباسيين حين نقلت جملة كبيرة من علوم الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء والطبيعة فأتاح هذا النقل مجالا لمصطلحات علمية كثيرة داخلت العربية واندمجت فيها .

ان هذه المصطلحات القديمة لاتزال قابلة للتداول أو التعديل وفق المفاهيم الحديثة وخاصة في مجالات الطب والأمراض وأعراضها وأدويتها ومداواتها . وفي أسماء النبات والحيوان وفي العلوم الرياضية . ويجب أن تستقصى هذه المصطلحات والألفاظ المولدة وأن تغربل وأن يقر الصالح منها . ومثل هذا الأمر يعتبر من أهم الأمور وأشقها وأدقها وأكثرها إلحاحا في الوقت الحاضر خشية ضياع تراثنا العلمي .

هذه هي بعض الصعوبات التي تقف في طريق التعريب ولابد أن نتغلب عليها إذا أردنا أن نسير في هذا الطريق الصعب إلى غاياته .

والتغلب على هذه الصعوبات يقتضي أن نفكر تفكيرا جديا جديدا في عملية التعريب وأن نعتقد أنها عملية يجب أن تتعاون عليها الجهود العربية بعد أن تتخذ الدول العربية قرارها الأساسي في تعميم التعريب في كل مراحل الدراسة .

ويجب أن يكون العمل في التعريب على أساس عمل متصل دائب دائم . فلا يكفي أن يجتمع مؤتمر أو مجمع أياما في السنة بل لابد من أن يتفرغ لذلك علماء لغويون وعلماء متخصصون يقفون جهودهم كلها على هذه الغايات .

وكذلك لابد من أن يتولى ذلك كله جهة مسؤولة متخصصة تتألف من عدد من أعضاء المجامع وعدد من العلماء يتفرغون لذلك تفرغا كاملا .

وأقترح أن تؤلف لجنة وطنية يكون لها شخصية اعتبارية تتولى تنظيم العمل والتخطيط له وتوزيع المواد المعجمة على أساتذة الجامعات القادرين والعلماء البارزين □

أفكار في مساء العمر

للشاعر: محمد عبد الغني حسن / القاهرة

الشمس تجنح للمغيب   والعمر يجنح للغروب
مالا إلى الأفق الذي   يطويه علاّم الغيوب
ياليت شعري! ما الذي   خلف الستّارة من خطوب؟
أوْ ما الذي بعد المبا   سم والمضاحك من قطوب؟
لمْ يأتنا نبأ ... ولم   نسمع جوابا من مجيب
نقضي الحياة تساؤلا   ونعود بالصمت الرهيب ..

° ° ° °

اني سئمت من الترحـّ   ـل، والترجّل، والرُّكوب
وبلغت ما بلغ امرؤ   بشبابه الغض الرطيب
وجرعت من حلو الحيا   ة ومرها كأسي، وكوبي!
لم أصح من أملٍ نأى   إلا على أملٍ قريب ..
وأروح في الدنيا وأغـ   ـدو في متاهات الدروب
حيران تقذفني الريا   ح من الشمال إلى الجنوب
أبدو كأن لي الخيا   ر ... ولست فيه بالمصيب
فوق اختياري كان لي الـ   مكتوب في اللوح الحسيب
كيف الخيار مع المقد   ر، والمسّطر، والنصيب؟

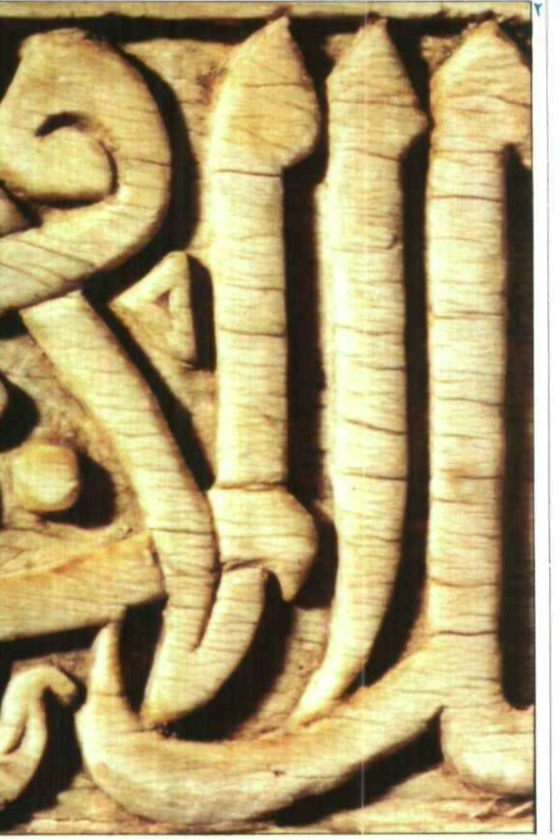
° ° ° °

يا نفس! قد حان الفرا   ق لذلك السجن الكئيب
سجن من الفخّار قُدّ   وصُبّ من حمأ مشوب
كيف استقام لك المقا   م بذلك الجسد العجيب؟
ما كنت إلا في حمى   ناءٍ، وفي وطن غريب
شتان بين مجاوريـ   ـن على التنازع والحروب!
متساكنين تناقضا   في الأصل والطبع الغلوب ..
هذا من الصلصال صيـ   ـغ، وذاك من نور وطيب

° ° ° °

يا نفس! قد غلبتك أهـ   ـواء التراب فلم تصيبي
فجنحت عن درب العلا   وهبطت في درك الرسوب!
لا بأس ان اسرفت في   ما لا يطاق من العيوب
فالله كشاف الكرّوب   والله غفّار الذنوب ..





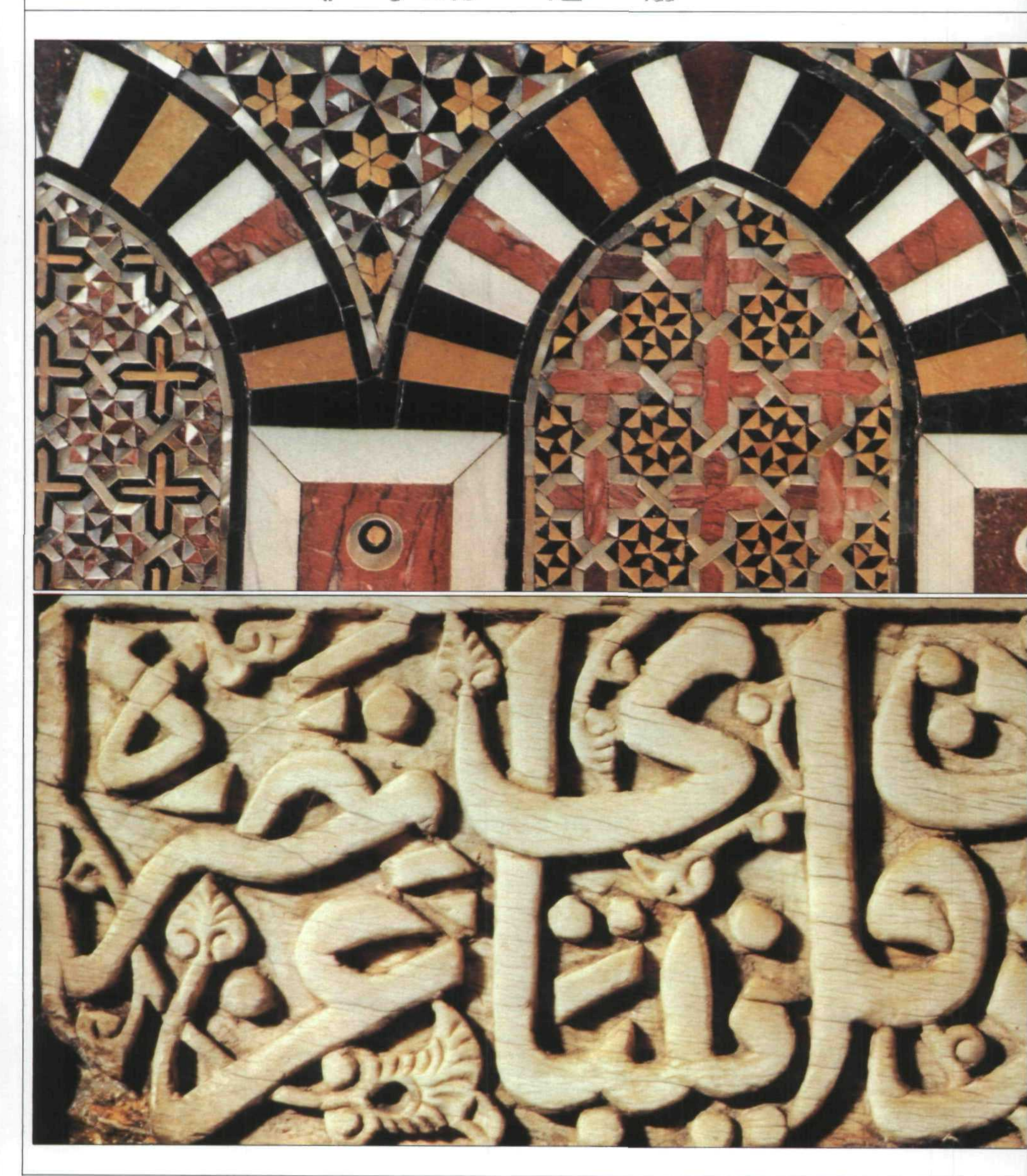
روائع الفن المملوكي

بقلم: سليمان نصر الله / هيئة التحرير

يعتبر عصر المماليك عصر ازدهار وتجديد في الفن الاسلامي في مصر وسوريا. وقد انعكست سمات هذا الفن على ما نشاهده اليوم من زخارف ونقوش، ازدانت بها الآثار الباقية من العصر المملوكي، المنتشرة في أرجاء القاهرة ودمشق وحلب. وقد تجلى الاهتمام بالفنون الاسلامية، عندما تولى مؤخرًا متحف «فرير» في واشنطن، اقامة معرض متجول لروائع الفن المملوكي، التي جمعت من المتاحف الوطنية في مصر، وسوريا، وبريطانيا، لعرضها في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية، بوصفها تعكس نهضة الفن الإسلامي في عصر المماليك.

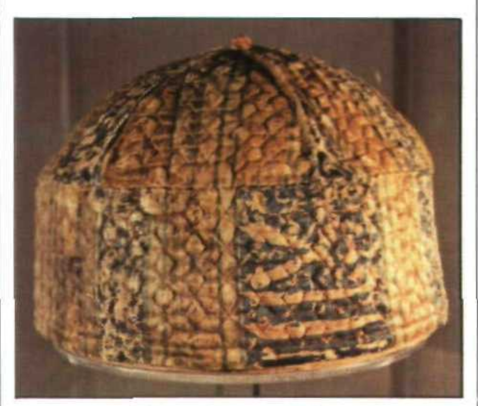
١ – لوحة من المرمر المرصع بالرخام والأصداف واللآلىء.

٢ – نقش عربي من العاج المحفور في الخشب.



المعروف تاريخيا ان ازدهار الفنون والعلوم والآداب عامة ، يتأثر تأثرا مباشرا بازدهار واستقرار الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلد ما ، فيصعد بصعودها ويهبط بهبوطها . ويمكن القول ان الفنون الإسلامية قد خضعت لهذه القاعدة العامة ، إذ ازدهرت ونمت ابان حكم الدولة الأموية والعصور العباسية الأولى . فبانحطاط السلطة المركزية في أواخر حكم الدولة العباسية ، أخذت الفنون الإسلامية تفقد الكثير من رونقها وبهائها ، فنشأت أساليب محلية في الفن مع نشوء دويلات مستقلة في أرجاء العالم الإسلامي ، على أثر ما أصاب الامبراطورية الإسلامية من تمزق وتشتت . فلما آلت مقاليد الحكم في مصر وسوريا إلى المماليك في الفترة الممتدة من ١٢٥٠ إلى ١٥١٧ م ، لم يقتصر نشاط سلاطين المماليك على الذود عن حياض الإسلام أمام هجمات المغول والصليبيين المتتابعة ، بل امتد إلى الناحية الاجتماعية والعمرانية . فللمماليك مواقف مشرّفة ازاء ما أحاط الامبراطورية الإسلامية من أخطار المغول والصليبيين ، فهم الذين قضوا على الحملة الصليبية التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا ، على يد « شجرة الدر » ، زوج الملك الصالح وبطلة معركة « المنصورة » ، التي هزمت فيها الحملة الصليبية ، وأسر الملك لويس التاسع . ويذكر التاريخ للمماليك موقفهم البطولي في وقف الزحف المغولي المدمر للحضارة الانسانية ، في معركة « عين جالوت » في فلسطين ، على يد السلطان سيف الدين قطز ، وقائد جيشه « الظاهر بيبرس » ، فقد عد انتصار المماليك على المغول حماية للحضارة العالمية ، وانقاذا للمدنيّة من هؤلاء الهمج ، الذين نشروا الدمار والخراب أينما حلوا . وقد عرف عن سلاطين المماليك عنايتهم الفائقة بالعلوم والمعارف والعمران ، التي تقف دليلا على حيوية الفن الإسلامي وعظمة شخصيته . فقد شمل الفن المملوكي النحت ، والحفر على الخشب والعاج والعظم ، والنقش والخط ، والتحف المعدنية ، والخزف ، والزجاج المذّهب والمطلي بالمينا ، والأقمشة من الكتان والحرير والصوف الموشاة بكتابات ورسومات بديعة وزخارف عربية نباتية وهندسية ، والبسط والسجاد .

وللوقوف على مخلفات المماليك الفنية ، لابد لنا من أن نستعرض بايجاز العوامل التي ساعدت على انعاش الفنون على اختلافها في عصر المماليك .



قلنسوة مملوكية مصنوعة من الحرير .

مـن هـم المماليـك ؟

المماليك جمع مملوك ، ومعناها ، لغة ، الشخص الذي اشتري بالمال وأصبح ملكا للمشتري . أما كيف استطاع هؤلاء المماليك الوصول إلى سدة الحكم ، فيرجعه كثير من المؤرخين والباحثين إلى الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ هـ ـ ٢٢٧ هـ) ، الذي كان أول من جلب المماليك الأتراك ، لتقوية جيشه بعناصر عرفت بالشجاعة والبطولة ، لينتصر بهم في حروبه ، بعد أن فقد ثقته بالفرس والعرب ، إذ شعر بتهديد العنصر العربي في جيشه . من أجل هذا فتح المعتصم الباب للمماليك ليصلوا إلى جيش الخلافة ، ومن ثم إلى سدة الحكم عقب ما حل بالخلفاء العباسيين المتأخرين من ضعف ووهن . وهؤلاء المماليك جلبوا من بقاع مختلفة منها تركستان ، وشبه جزيرة القرم ، وبلاد القوقاز ، والقفجاق ، وآسيا الصغرى ، وأرمينيا ، وفارس ، وتركستان ، وبلاد ما وراء النهر ، ففيهم عنصر الأتراك ، وفيهم الشراكسة والروم والأكراد ، وبعضهم من البلاد الأوروبية أيضاً . والعجيب في الأمر أن المماليك كانوا يعتزون بهذه التسمية ولا يرضون عنها بديلا ، ويرون فيها مجدهم . وكانت تربية هؤلاء المماليك تمر بمراحل متعددة ، حيث تبدأ من عملية شرائهم من أسواق النخاسة من تجار الرقيق . فكان السلاطين عبر وكلائهم يختارون منهم أحسنهم قامة وصحة ، ومن تبدو عليه مخايل الذكاء والنجابة . فإذا تمت عملية الشراء ، وضعهم السلاطين في أبراج خاصة بهم ، ورتبوا لهم من الفقهاء والعلماء من يلقنونهم الدين والعلوم ، ويأخذونهم بملازمة الفرائض ، فإذا تم ذلك وتقدمت بالمماليك السن تجاه الشباب ، وُكّل أمرهم إلى مدربين عسكريين لتلقينهم النظم العسكرية وفنون الحرب ، ومن ثم ينتقل المملوك إلى خدمة سيده فيلتحق بحرسه الخاص أو بديوانه أو بجيشه . هذا ولم يقتصر شراء المماليك على الذكور بل كانت تجارة الجواري رائجة أيضاً . فقد استطاعت «شجرة الدر» ، الجارية الأرمينية الحسناء ، بحنكتها وذكائها أن تصل إلى كرسي العرش ، وأن تعليح بأقوى المماليك الصابيية وأعتاها في ذلك الوقت ، كما أطاح حسنها الآسر بأعناق الرجال . ليس ذلك فحسب ، بل تمكنت من الوقوف في وجه زحف التتار والحاق هزيمة منكرة بهم في معركة « عين جالوت » . وسرعان ما قويت شوكة هؤلاء المماليك حتى غدوا الحكام الفعليين في الدولة ، وأخضعوا الخلفاء لسلطانهم إلى حد التحكم فيهم بالقتل أو العزل ، ومن ثم تولوا زمام الأمور في كل من مصر وسوريا بعد انهيار الدولة الأيوبية ، فكان منهم سلاطين أعادوا للدولة الإسلامية هيبتها في عصر تكالبت فيه القوى الأجنبية عليها .

النشاط التجاري وازدهار الفن المملوكي

المعروف أن مصر والشام تتمتعان بموقع استراتيجي هام بين الشرق والغرب . وقد استغلت دولة المماليك هذا الموقع أروع استغلال ، سيما وأنها حكمت مصر وسوريا وفلسطين ، وامتدت حدودها إلى مشارف هضبة الأناضول والحجاز ، وبعض مناطق من السودان وليبيا . فسيطرت على طرق التجارة . فتجمعت لدى المماليك ثروات هائلة ، فأدى ذلك إلى أن مال سلاطينهم وأمراؤهم إلى حياة الترف . فبنوا القصور الفخمة وملؤوها بالأثاث النفيس والتحف الفنية الرائعة . وتسابقوا إلى بناء المساجد والمدارس والمستشفيات والأضرحة ، واقتناء كل ما هو جميل ونادر ، فتحسنت صناعة التحف النحاسية

المكفتة بالذهب والفضة ، والمشكاوات من الزجاج المموه بالمينا ، وأنواع الخزف والفخار المطلي بالمينا ، والأخشاب المطعمة بالعاج والأبنوس ، والمشربيات المزخرفة ، وغيرها من الصناعات الفنية ، التي تشهد بطابع فني محلي ، يمثل هذا العصر ، ويدل على ذوق رفيع ومهارة يدوية فائقة . فقد وصلت الفنون في العصر المملوكي أوج ازدهارها ، حتى لقد عد المماليك من أعظم أنصار الفنون والعمارة في تاريخ الإسلام . وهذا ما دعا الدكتورة « أيسن أتيل — Esin Atil » ، أمينة « متحف فرير للفنون — Freer Gallery of Art » في واشنطن للقيام بجمع كل ما استطاعت جمعه من آثار الفن المملوكي ، بالتعاون مع الحكومتين المصرية والسورية ، ومتحف فكتوريا وألبرت والمتحف البريطاني ، وكلاهما في لندن ، لعرضها في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية . والدكتورة « ايسن أتيل » المولودة في تركيا ، هي مؤرخة للفن ، ومتخصصة بالفنون الإسلامية في الشرق الأدنى ، وقد نالت درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة الأمريكية ، وبذلت جهدا كبيرا في جمع ما يقرب من ١٣٠ قطعة فنية تمثل جوانب الحياة في عصر المماليك وتعكس الأساليب الفنية المتبعة في ذلك العصر . فكان ضمن المجموعة الكتب المزخرفة والقطع الزجاجية والحجرية والمعدنية والعاجية . وهذا المعرض الذي يطوف الولايات المتحدة تحت شعار « نهضة الإسلام : فن المماليك » بدأ في منتصف شهر مايو ١٩٨١ م في متحف فرير بواشنطن ، ثم انتقل إلى المعرض الوطني للتاريخ الطبيعي لمعهد سميثونيان ، ومن واشنطن انتقل المعرض إلى معهد مينابوليس للفنون بولاية مينيسوتا ، ومن هناك انتقل إلى نيويورك ليواصل جولته التي ستستغرق عامين . ولم يقتصر الأمر على مجرد عرض نماذج من الفن المملوكي ، بل عقدت ندوة دراسية دولية حول فنون المماليك ، شارك فيها نحو عشرين من العلماء ، والمؤرخين ، والباحثين البارزين من أوروبا وأمريكا والشرق الأوسط ، ليلقوا الأضواء على تاريخ المماليك الحضاري والحياة الاجتماعية ، من خلال مخلفاتهم وآثارهم . فقد ضمت صالات العرض مصاحف مذهبة مزخرفة ومرقنّة ترقينا نفيسا ، يعكس ما للكتاب الكريم من اعتبار عظيم لدى الفنانين ، ويتجلى فيها الإبداع الفني في تشكيل الحروف العربية ، أضف إلى ذلك عينات كثيرة من المنسوجات الموشاة ، والبسط المتقنة الصنع ، والأواني النحاسية والزجاجية ذات الأشكال الأخاذة ، والزخارف الدقيقة ، وصفحات من الكتب المشهورة المزدانة بالرسومات الجميلة التي تعكس فن التصوير المملوكي ، منها على سبيل المثال لا الحصر « كتاب في معرفة الحيل الهندسية » للجزري ، وكتب الفروسية التي تعكس اهتمام المماليك بالخيول ومنها كتاب « نهاية السؤال والأمنية في علم الفروسية » الذي يشتمل على دروس في الفروسية في الشؤون الحربية وكيفية استخدام آلات الحرب كالرماح ، والسيوف ، والسهام ، وما إلى ذلك .

ومما هو جدير بالذكر أن سلاطين المماليك لعبوا دورا مهما في الأخذ بيد الفنون ورفع شأنها ، كما عملوا على تنمية موارد البلاد . فهذا الظاهر بيبرس قد حفر التّرع وأصلح الحصون وأسس المعاهد وبنى المساجد ، كما عنى عناية فائقة بالعلوم والمعارف واصلاح أساليب الري والزراعة ، ومن آثاره مسجده بحي الحسينية بالقاهرة ويعرف بجامع الظاهر ، وفيه تبدو سمات العمارة الإسلامية . وهذا السلطان

٢


١


١ — يلاقي التراث المملوكي اهتماما كبيرا من عشاق الفنون الإسلامية .

٢ — المعروضات المملوكية تستحوذ على إعجاب المشاهدين .

الناصر محمد بن قلاوون . الذي يذكر المؤرخون أن القاهرة في عهده كانت حاضرة لامبراطورية شاسعة متحدة . بسطت نفوذها على اليمن والحجاز بالإضافة إلى مصر والشام . وخطب ودها ملوك من أوروبا وآسيا . وقد عرف عن هذا السلطان اهتمامه الكبير بفن المباني والنقوش العربية . فهو المنشىء لقناطر المياه الموصلة بين القلعة والنيل . كما وصل بين النيل والاسكندرية بترعة . وأنشأ طريقا حيويا بجانب نهر النيل . كان بالإضافة إلى فائدته كطريق . يحجز المياه وقت الفيضان .

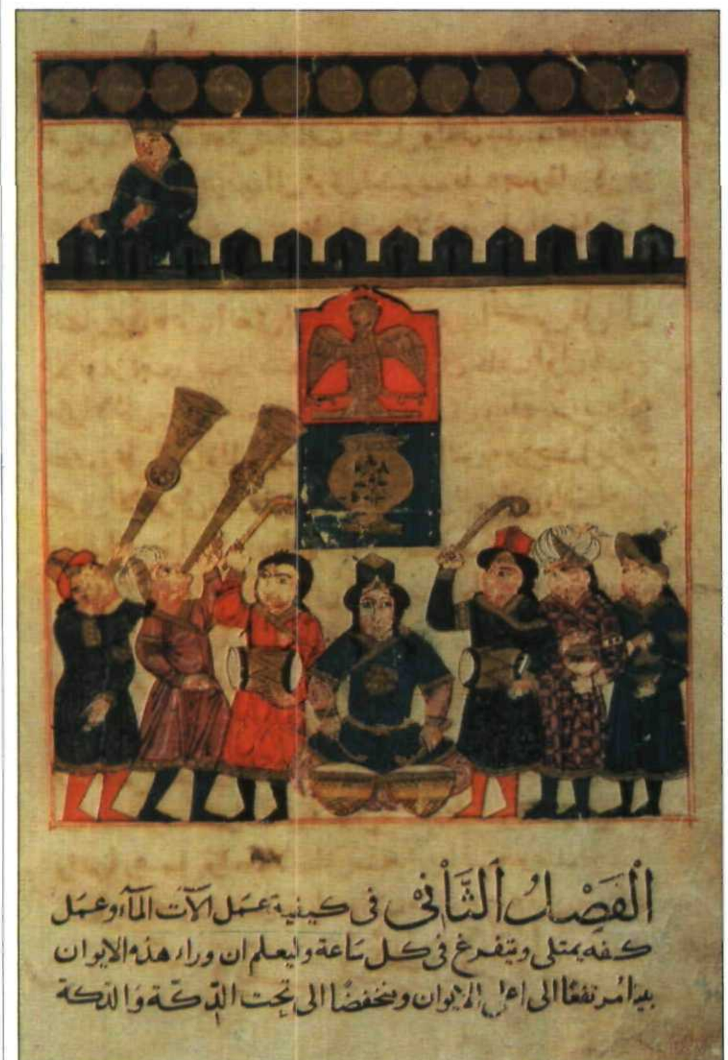
ومما لاشك فيه أن عهد المماليك قد شهد نهضة فنية زاهرة . بفضل تشجيع سلاطينهم وأمرائهم . وتذوقهم للجمال . وحرصهم على بلوغ قمة الفن في المخطوطات . فضلا عن الهندسة والفن الزخرفي والحرفي . وهي الفنون التي بدأت كتقاليد موروثة عن الدولة الأيوبية . فالأسلوب التشكيلي الرمزي المبكر بدأ في عهد الأيوبيين . لكنه في القرن الرابع عشر الميلادي تنحى عن مكانه لفن الخط والزخارف الزهرية . التي بقيت تؤثر في الفن المصري والسوري حتى اليوم . وقد سجل فن المماليك تفوقا جماليا في مجالات نسخ المصاحف والكتب المشهورة . بحروف مزخرفة زاهية الألوان . فضلا عن التزيين المعماري والأعمال المعدنية والزجاجية والخزف والنسيج .

فن النحت والعمارة المملوكي

يعتبر العصر المملوكي في نظر كثير من مؤرخي الفن . عصر ازدهار وتجديد في فن الريازة والنحت والعمارة في مصر والشام . وغدت القاهرة مركزا مهما للفن المملوكي في فروعه المختلفة . فازادنت بعدد كبير من المساجد الفخمة . والمدارس . والأضرحة . المنقوشة جدرانها من الداخل والخارج بالزخارف الغنية . التي استمدت جمالها من المهارة الفائقة التي امتاز بها فن المعمار المملوكي . وغالبا ما استخدمت في البناء حجارة ملونة . كالأحمر مع الأبيض أو الرمادي مع الأبيض . كما



« كتاب في معرفة الحيل الهندسية » للجزري يصف بعض الأدوات الميكانيكية التي كانت مبعث تسلية للمماليك .



صفحة من كتاب الجزري تحتوي على وصف للساعة الميكانيكية

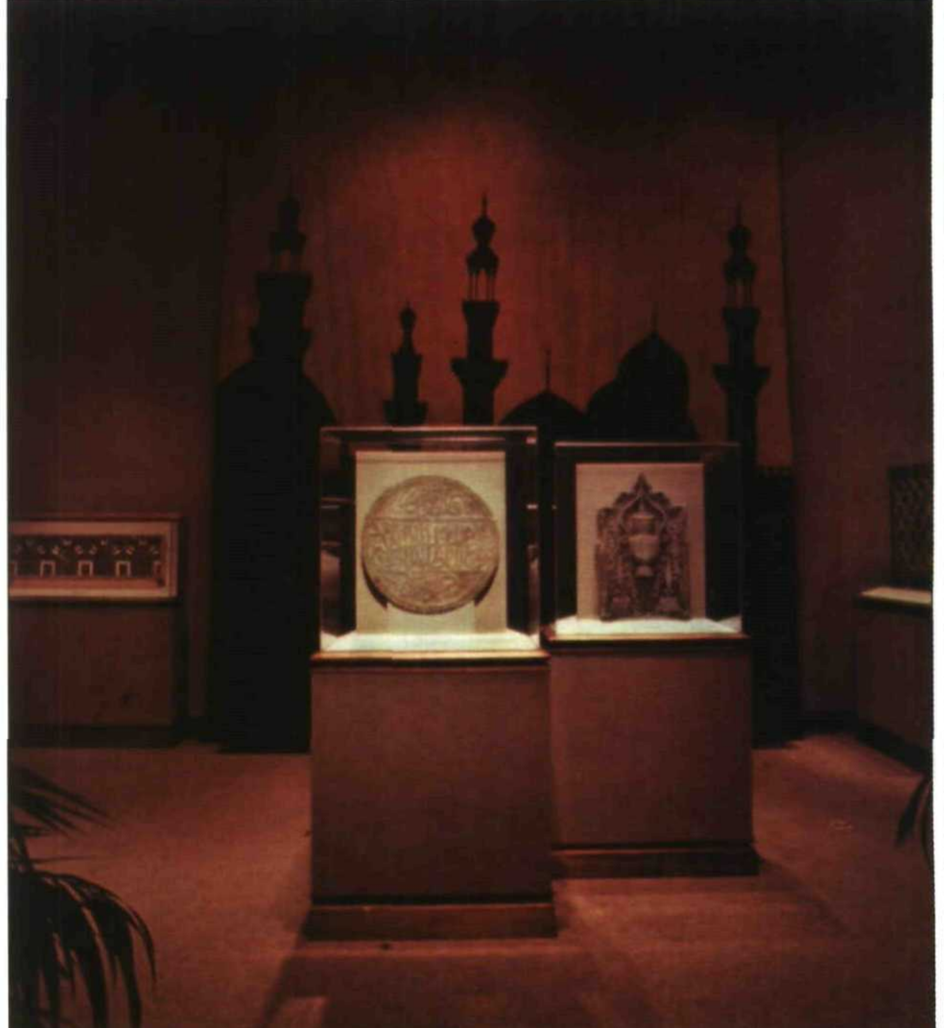


صفحة من حكاية الحصان والخنزير البري .



صفحة من كتاب الجزري توضح عملية انتقال الماء في الأوعية .

أضيفت بعض العناصر المعمارية الأخرى . كوسائل زخرفية مثل المقرنصات أو الدلايات . والعقود المعشقة ، كما استخدمت الألواح الرخامية والفسيفساء ، والمنحوتات الجصية والحجرية في الزخرفة الداخلية في المساجد وغيرها . وقد اقتصرت الزخارف المنحوتة في كثير من الأحيان على الأشرطة والألواح المنقوشة التي زيّن بها المبنى حسب التصميم الموضوع . والملاحظ أن الرخام الملون ، الذي أصبح الخامة الأساسية في البناء والزخرفة ، أخذ يلعب دوره في تغشية الجدران . شأن أشغال النجارة الدقيقة وأعمال التطعيم بالصدف والعاج والأبنوس للمنابر والأبواب والشبابيك ، كما كانت السقوف تموّه بالذهب على نحو رفيع من الاتقان . والتناسق . والجمال . ولعل أبرز ما يمثل فن النحت والعمارة المملوكي مسجد الظاهر بيبرس ، ومسجد المنصور قلاوون ، ومسجد ومدرسة السلطان حسن ، ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون ، ومنبر السلطان برقوق وجميعها في القاهرة ، وقلعة حلب ، وجامع المعلق في دمشق . وقد بلغ أسلوب التوريق في جميع هذه الآثار غاية تطوره ورقيه . ومن الصفات المميزة لهذا الأسلوب تغطية المسطحات بالمراوح النخيلية والأشرطة الكتابية حتى لتبدو وكأنها صفوف من الأضلاع أو التفريعات . وغالبا ما رسمت التفريعات النباتية على عدة مستويات تصل في النهاية إلى أشكال منسقة تنسيقا بديعا . كما يشاهد في محراب مدرسة الناصر . وتحتفظ متاحف العالم بعدد وفير من الأحجار المنحوتة والأواني الحجرية التي ترجع إلى العصر المملوكي ، وأغلبها مصنوع من الرخام الملون كالمنابر والنافورات وأحواض وجرار المياه وحمالات « كلجات » الأزيار . ففي « متحف فكتوريا والبرت — Victoria and Albert Museum » في لندن اناء من الرخام تزينه تفريعات نباتية منحوتة نحتا بارزا على أرضية زاخرة بالزخارف النباتية . ويحتفظ «متحف المتروبوليتان — Metropolitan Museum » في الولايات المتحدة الأمريكية بعدد من القدور والجرار وحمالات الأزيار والأحواض . على



اشتهر الصناع في العصر المملوكي بنقش اللوحات التذكارية .

الحفر على الخشب والعاج

عرف عن الفنانين المسلمين فن حفر الأشكال الهندسية في الخشب والعظم والعاج ، كما حفروها في المعدن والحجر والجص ، خلال العصور الإسلامية المتعاقبة . والملاحظ أن فن الحفر على الخشب في زمن المماليك كان أكثر اتقانا منه في العصر الأيوبي ، إذ ابتكر فنانو العصر المملوكي أشكالا جديدة من المراوح النخيلية والزخارف النباتية . كما شاعت في ذلك العصر الزخارف الهندسية المكونة من حشوات صغيرة تتألف غالبا من أشكال سداسية الأضلاع تنتظم حول شكل نجمي في الوسط تزيّن بزخارف نباتية متشابكة . وقد استخدمت في الحفر أخشاب مختلفة الألوان ، طعّمت أحيانا بالأبنوس والعاج والعظم . هذا وتضم المتاحف العالمية نماذج رائعة من الخشب المحفور المحلى بكتابات عربية بخط النسخ الذي حل محل الخط الكوفي . بعضها كتابات عربية تتضمن بعض الألقاب المملوكية . ويضم « المتحف البريطاني — The British Museum » في لندن عددا من الحجارة المنقوشة والأواني الحجرية المنحوتة . أما متحف الفن الإسلامي بالقاهرة فيضم عددا كبيرا من المنحوتات الجميلة والنقوش الرائعة المنزوعة من المساجد المملوكية القديمة ، والجرار البيضاوية وغيرها مما لا يقع تحت حصر .

انتاج التحف المعدنية

بلغ انتاج التحف المعدنية في مصر وسوريا ابان حكم المماليك درجة عالية من الاتقان والروعة . فقد اشتهرت القاهرة ودمشق وحلب بصنع تحف معدنية لاسيما في عصر السلطان ناصر الدين محمد بن قلاوون ، إذ لايزال هناك كثير من التحف المعدنية التي تحمل اسم السلطان المملوكي أو اسم احد رجال بلاطه . ومن روائع ذلك العصر كرسي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة غني بالزخارف المتقنة المكفتة بالذهب والفضة . وللتحف المعدنية المملوكية صفات مميزة يسهل معرفتها ، فقد أضيفت إلى الزخارف النباتية التقليدية تعبيرات زخرفية جديدة ، من ذلك ما شاع استخدامه من رسم أزواج من الطيور في خانات مرتبة داخل أشكال هندسية معينة ، كما يرى على أبريق محفوظ بمتحف « المتروبوليتان » يحمل اسم الناصر محمد . ويبدو التأثر بالفن الصيني واضحا في التحف المعدنية المملوكية ، وهو الفن الذي دخل الشرق العربي عن طريق الغزو المغولي . ويتمثل هذا الفن بالتعبيرات المورقة ورسوم البطات الطائرة حول الشارات الرسمية أو الرنوك المملوكية التي تشتمل على القاب وأسماء السلاطين المماليك ورجال حاشيتهم . وقد امتازت مدرسة دمشق في فن التطعيم ، والتفكيت الأنيق بالفضة والذهب معا ، مما يتجلى في كثير من التحف المملوكيـة المقالم والمباخر ، والصحون ، والطسوت ، والسلطنيات ، والزهريات الغنية بالزخارف النباتية ، والرسوم الآدمية التي تمثل مناظر الصيد والمصارعة .

الفنون الخزفية

تطورت الفنون الخزفية في العصر المملوكي تطورا ملموسا في كل من سوريا ومصر ، ومع أن صنع الخزف الإسلامي بدأ أول الأمر كامتداد لصناعة الخزف الساساني والبيزنطي ، إلا أنه استقل فيما بعد بأسلوب خالص متميز تنوعت فيه العناصر الزخرفية ، كالرسم بالألوان تحت الطلاء الزجاجي الشفاف ، أو البريق المعدني ، أو التذهيب فوق الطلاء الزجاجي الشفاف أو غير الشفاف ، أو النحت والحز والتخريم .

ومما يثير دهشة الناقدين الفنيين لصناعة الخزف الإسلامي ، الاتقان البديع في استغلال النور والظل ، ونجاح الخزافين المسلمين نجاحا باهرا في هذا المضمار . فقد بلغ الخزافون المصريون والسوريون في العصر المملوكي مستوى عاليا من المهارة والاتقان في صنع المزهريات والسلطانيات والأواني الخزفية ، المزدانة برسوم من البريق المعدني الذهبي ، والزخارف النباتية المرسومة باللونين الأسود والأزرق الفيروزي .

الزجاج المذهب والمطلي بالمينا

يمكن القول أن العصر الذهبي لصناعة الزجاج الإسلامي بدأ مع الحكم المملوكي . ويعود فضل التقدم والاتقان في هذه الصناعة إلى الصناع السوريين ، فكانت حلب ودمشق أهم مراكز صناعة الزجاج في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، وعدت منتجاتهما في طليعة ما خلفته تلك الصناعة على الاطلاق . ومع أن مصر ساهمت بنصيب وافر في انتاج الزجاج المطلي بالمينا ، إلا أن انتاج سوريا تفوّق عليها . فقد ذكر « القزويني » أن حلب كانت مركزا فنيا مهما في القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ كانت أسواقها تزخر بالأكواب والأواني الزجاجية البديعة ، التي كانت تُصدّر إلى البلدان الخارجية . وكان للأواني الزجاجية المصنوعة بدمشق الشهرة نفسها في عصر المماليك حيث غمر صناع دمشق أسواق القاهرة بانتاجهم الفاخر ، كما أطلق اسم دمشق على كل ما صُدّر للبلاد الأوروبية من الأواني الزجاجية المذهبة المطلية بالمينا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . لقد أعجب الرحالة والحجاج والمحاربون الصليبيون أيما اعجاب بهذه الأواني الزجاجية وزخارفها الفنية الجميلة وألوانها العديدة الرائعة ، وعادوا إلى ديارهم بالكثير منها ، وهو ما نشاهده اليوم ضمن محتويات المتاحف الأوروبية ، كالمشكاوات ، والأكواب ، والقوارير ، والكؤوس ، والأباريق ، والشماعد . وكانت المشكاوات الخاصة تصنع تلبية لرغبة السلاطين والأمراء المماليك وكانت تحمل اسماءهم وشاراتهم . هذا وكانت تزدان هذه الأواني الزجاجية بكتابات بالخط الكوفي الكبير ، وينقش عليها أحيانا أبيات من الشعر العربي باللون الذهبي والأبيض والأزرق والأحمر والأصفر والأخضر والأسود ، بالإضافة إلى الزخارف النباتية والتعبيرات الطبيعية المزهرة الصينية الأصل ، كزهرة اللوتس ، وأوراق العنب ، والطيور .





المنسوجات المملوكيّة

تشمل المنسوجات المملوكية الأقمشة المطبوعة والبسط والسجاجيد ونسيج الحرير . وهي بشكل عام لا ترقى في جودتها إلى ما بلغته صناعة المنسوجات في العصر الفاطمي ، فأقمشة العصر المملوكي المطرزة أكثر بساطة إذا ما قورنت بأقمشة العصر الفاطمي المطرزة بخيوط الذهب ، والحرير المختلف الألوان . أما أسلوب تطريز وتوشية الأقمشة في هذا العصر فهي شبيهة بالزخارف المملوكية على التحف المعدنية . ففي متحف « فكتوريا والبرت » الآنف الذكر غطاء حشية من نسيج الكتان يعود إلى القرن الثالث عشر ، تزينه معينات تضم داخلها رسوما تمثل أسودا ، وطواويس ، وطيورا ، وتعبيرات زخرفية مختلفة . وتمتاز الأقمشة المطرزة من العصر المملوكي بخطوطها المكسرة المتعرجة ، والأشكال المسننة ، والوريدات والتفريعات المزهرة ، ذات اللون الأزرق الفاتح أو الأبيض أو البني القاتم أو الأحمر أو البرتقالي أو الأخضر . ويحتفظ متحف « المتروبوليتان » بقطعة من نسيج الحرير عليها زخارف منتظمة بلون برتقالي على أرضية باللون البني داخل أشرطة أفقية ، وتتألف من الموضوعات التقليدية في الفن الإسلامي مع تعبيرات مختلفة من الزهور المستعارة من الفن الصيني . وفي معبد « سانت ماري » بمدينة « دانتزج » قطعة من الحرير الموشى منسوجة بخيوط رقيقة من الجلد المذهب على أرضية من الحرير الأسود ، ويزينها رسم قوامه أزواج من الببغاوات وأشكال من التنين الصيني ، وعليها كلمة « الناصر » ، ولعلها تشير إلى الناصر محمد بن قلاوون أحد السلاطين المماليك .

تلك كانت حقبة من أحقاب الفن الإسلامي الذي أخذ موٌخرا يجتذب اهتمام المعنيين بالفنون عامة في أوروبا وأمريكا ، للوقوف على روعة هذا الفن وذروة ازدهاره □

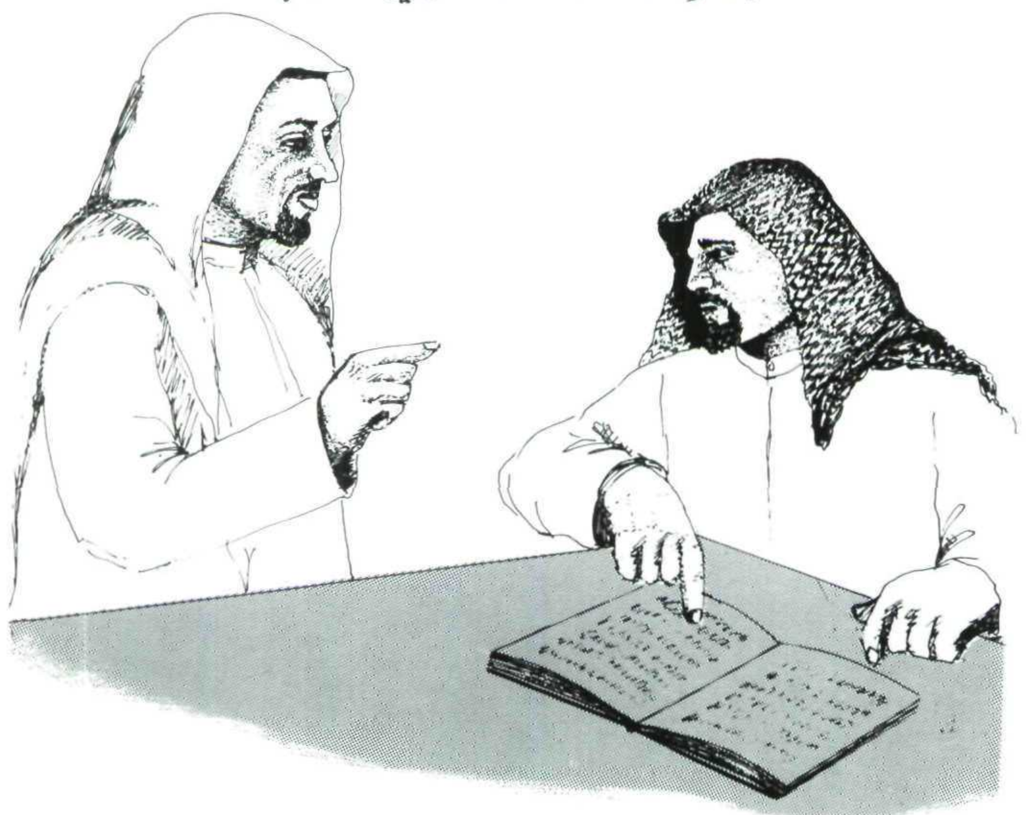
١ – قارورة من الزجاج المملوكي يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ – متحف « فرير » الذي عرضت فيه التحف الفنية من عصر المماليك .

تصوير : ستيف ايرلي

الخرافات التي عطلت فينا ملكة النقد

بقلم: الأستاذ أحمد السباعي / مكة المكرمة



هل يلذ لك أن تناقش
وأن تغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأن تنسى في سبيله ما كرهت
لعلك تعـــدني
ولعلي أعـــدك ..

ولكن .. ولكن أترانا قادرين بحق على أن نفي بمثل هذا الوعد !
أخشى أن أقول انني وإياك وهما وهم من أنبل الناس عاطفة وأدقهم إحساسا وإننا من أجل ذلك عشنا ونعيش عبيدا لعواطفنا أسرى لأحاسيسنا

لا تتعجل الأمر
فقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

° ° ° °

إنني أدّعي أن أحدنا غفل إذا عشق ،
فدم إذا وثق ! !
وإننا بله لا يعجز المبرز أن يغتالنا إذا أجاد الصياغة وأحكم التنميق ! !
وأن المفوه يستطيع أن يجندنا لفكرة ويربطنا إليها ويحبسنا لحكمها ! ! !
أترانا في هذا أصحاب مبادىء ؟
أترانا لهذا أوفياء مخلصين ؟
أم ترانا حمقـــا مسخرين ؟
لا تتعجل الأمر
فقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

° ° ° °

انني أدعي أن مأساتنا في هذا الوفاء لعامة المبادىء التي استطاعت أن تتسلل إلى أحاسيسنا وتلهب عواطفنا هي علة شقائنا
وان إخلاصنا لما نعتنق من رأي عطل فينا ملكات النقد !! وحدد أفهامنا في الحياة !!
أيسيئك ما أقــول ؟
لقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

* * * *

لقد كنا نقول أن زمزم تفور في نصف شعبان ، وأنها تختلط بماء الكوثر
كانت فكرة أملاها مبرز يجيد التلفيق فأستطاع أن يتسلل بها إلى عواطفنا
كان يعلم أننا غفل إذا عشقنا ، بله إذا وثقنا !! فأستطاع أن يتسلل إلى أحاسيسنا وأستطاع أن يلهب عواطفنا
أنك ولاشك تدري أنها خرافة
عاشت في عقيدتنا نحوا من ألف سنة عطلت في أثنائها من رؤسنا ملكة النقد وربطتنا بأول مفوه اخترعها
أيقنعك هــذا ؟!
لقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

* * * *

أنت تعرف أن المسلمين افترقوا إلى اثنين وسبعين فرقة
لقد نجحت فرقة واحدة فما خطب المغرقين
لاشك في أنهم كانوا منساقين إلى مفوهين يجيدون تخريج الحجة وتنميق حيثياتها
كان على رأس كل فرقة مبرّز استطاع أن يتسلل إلى أحاسيسهم ويلهب عواطفهم فأنقادوا مقلدين وأرتبطوا بمبادىء متحمسين
ولا يعطل ملكة النقد شيء كالحماس !! التقليدي !!
أتقول ما لنــا وهذا ؟
لقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

* * * *

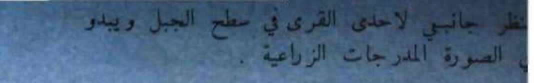
ربما نادانا مناد : هلموا إلي ولا تقلدوا فقد وقعت على أخطاء الغاوين
ربما كان مفوها عظيم الحجة .. ربما استطاع ببراعته أن ينسينا ما قلدنا بغير وعي .. ربما أكبرنا فيه الاستقلال الذاتي فمضينا نتابعه باحترام
ربما هالتنا مبادئه فتركناها تتسلل إلى عواطفنا وتلهب حواسنا
ربما قرأنا صفحته إلى آخر حرف فيها ثم نسينا في غمرة ما وثقنا أن نقلب الورقة !! ونسمع آراء الآخرين فعدنا إلى قواعدنا مقلدين .
أراك تنفض رأسك
لقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

* * * *

إذا بصرك أستاذك بأخطاء المقلدين
وإذا علمّك كيف تستنطق الحروف
وإذا دربك على استعمال أدق الموازين
وإذا كشف غطاءك لتعرف معالم الدروب
فما الذي يمنعك أن تدقق أخطاءه كما فعل هو بالآخرين
وما الذي يربطك بمعاني الحروف التي استنطقها وأنت تعلم أنه غير معصوم ؟
ومــا الذي يحملك على أن لا تضيف إلى موازينــه معيــارا أدق مما علمك ؟
وما الذي يقيدك بتقليده وقد بصرك بتقليد الآخرين ؟
أتراك زعلت ؟!
لقد وعدت أنك ستناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت .

* * * *

لا تستغرب إذا رأيت من استهواه صاحبنا هناك فقد كان مبرزا يجيد التنميق ، وكان بارعا استطاع أن يتسلل إلى العواطف وأن يلهب الأحاسيس وأن يجندهم لما يرى ويربطهم بما دعا
كان المخدوعون نبلاء فيما اعتنقوا أوفياء لما عشقوا
لقد أكبروه فانساقوا إلى تقليده ، فحدد الأكبار فهمهم للحياة وعطل التقليد ملكتهم الناقدة
لقد بصرهم بأخطاء المقلدين ثم ما لبث أن نشر صفحته ليبايعوه عليها ويقلدوه فيما ألزمهم
ليته علمهم كيف يقلبون الأمر على جوانبه ، ويستعرضون الأفكار على وجوهها ويسمعون آراء مخالفيه ويدققون حجج معارضيه
ليته علمهم استعمال الموازين واستنطاق الحروف وتدقيق المعالم ودراسة الأفكار
ليته وهو ينعي عليهم متابعة الغير في تقليد أعمى علمهم أن لا يرتبطوا بكل ما يقول وأن لا يعطلوا ملكتهم في النقد ويحددوا فهمهم بما يقرر
ألست معي في هذا ؟!
انه رأي !! وقد وعدت أن تناقش
ووعدت أنك ستغضي في سبيل النقاش عما أحببت
وأنك ستنسى في سبيله ما كرهت
فهل فعلت ؟!! □



نظر جانبي لاحدى القرى في سطح الجبل ويبدو
ي الصورة المدرجات الزراعية .

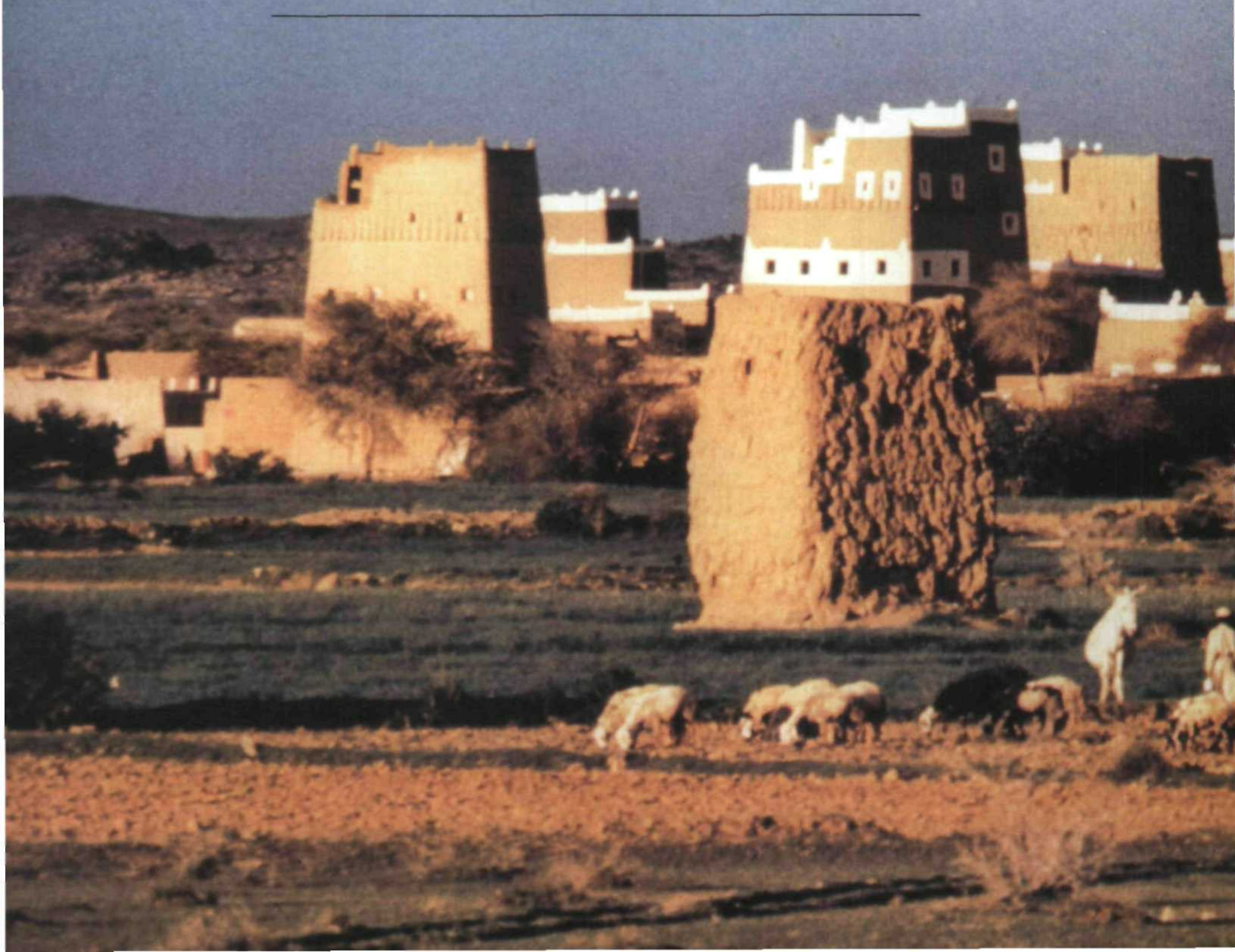
(٤)

عسير...

درة الجزيرة العربيّة وموطن الطبيعة الخلابة

اعداد : محمد بن هيف بن سليم / هيئة التحرير

عبر الاستطلاع الذي نجريه عن منطقة عسير كان الموضوع الأول بمثابة لمحة عامة وسريعة عن ربوع المنطقة أما الثاني ، فكان عن المشاريع التي يجري العمل على تنفيذها وتصورات المسؤولين في الأجهزة الحكومية المختلفة لمستقبل المنطقة وأخيراً تحدثنا عن السياحة والآثار . أما هذه الحلقة الأخيرة فهي عبارة عن لمحة سريعة عن تاريخ المنطقة وتراثها الشعبي . آملين أن نكون قد وفيناها حقها من خلال هذا الاستطلاع المصور نظراً لما تتميز به من تاريخ عريق وتراث شعبي أصيل وطبيعة خلابة .





الشيخ هاشم سعيد النعمي يتحدث إلى كاتب السطور عن تاريخ المنطقة .

السّكان

كل أمة ليس لها ماض لا يكتب لها البقاء ، ونحن في الجزيرة العربية كأي أمة لها تاريخ عريق نعتز بماضينا وديننا وعاداتنا وتقاليدنا وتراثنا ، فجزيرتنا هي المهد الأول للساميين الذين بنوا حضارة العالم . والجزء الجنوبي من المملكة العربية السعودية ، ومنها منطقة عسير ، يسكنه قبائل متعددة ينحدر معظمها من أصل قحطاني ، وارجاع أنساب القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أمر من الصعوبة بمكان نظرا للاختلاط الذي حدث ، على مر الزمن ، في أنساب القبائل وهجرتها وتحالفها ، ومع أنه قد ورد ذكر كثير من قبائل تلك المنطقة ومواطنها في المصادر التاريخية وكتب الأنساب والشعر العربي ، إلا أنها لاتزال بكرا تحتاج إلى تضافر جهود الباحثين من أبناء المنطقة بشكل خاص والجزيرة العربية بشكل عام .

لقد حدثنا الشيخ هاشم النعمي ، المهتم بتاريخ المنطقة وتراثها وآثارها ، حيث قال : « انه من واقع الآثار الموجودة في المنطقة ومما يتداوله الناس على ألسنتهم يعتقد أنه كان يسكن منطقة عسير ما يسمى بالبابليين والآراميين والكنعانيين وغيرهم من الجنس السامي الذين هاجروا إلى الشمال ، غير أن الباحث يبقى في حيرة ، حيث أن الكتابة المسمارية المتوفرة في ربوع المنطقة والآثار الموجودة معروف أنها كانت لعرب الجنوب الذين سكنوها قبل الإسلام . ونجد أنه لازال من آثار لغتهم التي كانوا يتداولونها بقايا ، وخاصة في جهة تهامة .

ولقد ورد في لغة الآراميين أنهم كانوا يبدلون « ن » في ابن إلى « ر » أي ابر ، وهذه اللغة صحيحة ، والدليل على ذلك هو إقرار الرسول ، « صلى الله عليه وسلم » لها حيث أنه عندما جاء وفد بني نهد من قحطان إليه وقالوا : « هل من أمبر أمصيام في أمسفر » فأقرهم الرسول وقال : « ليس من أمبر أمصيام في أمسفر » وهذه لغة حميرية ، وهم القوم الذين كانوا يسكنون هذه المنطقة ولازال فيها بقاياهم .

وفي عهد الفتوحات الإسلامية كان لقبائل تلك المنطقة دور كبير في ذلك ، ويروى أن هناك ما يقارب من ٥٥ صحابيا ينسبون إليها ، ومنهم صرط بن عبد الله الأزدي ، وعروة البارقي ، وعوف بن مالك الحجري الذي أعاد فتح الاسكندرية في عهد عمرو بن العاص .

عسير

ذكر البعض ممن كتب عن منطقة عسير أن اسم « عسير » مشتق من العسر نظرا لأنها عسيرة المسالك حيث الجبال الوعرة والأودية العميقة ، ومنهم من ذكر أنه اسم لأحد ساكنيها ويدعى « عسير » من العدنانيين ، وفريق ثالث يرجح أنه كان يطلق عليها اسم « جرش » نسبة إلى المدينة الأثرية ثم عرفت فيما بعد باسم عسير .

يقول فؤاد حمزة في كتابه « بلاد عسير » .. كاسم جغرافي فهو حديث التسمية لأن مؤرخي العرب القدماء لم يشيروا إليه كاسم جغرافي ، ولقد كان يطلق على هذه المنطقة في الغالب لدى مؤرخي العرب القدماء بلاد السراة حيث ينسبون كل سراة إلى القبائل التي كانت تسكنها مثل سراة « جنب » و « عنز » و « الأزد » .

وربما كان عدم تسميتها باسم جغرافي مستقل ، كون هذا الاقليم يشتمل في تكوينه الجغرافي على أجزاء من الأقسام الجغرافية التي حددها ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » وهي تهامة والحجاز ونجد .

قديما وحديثا كانوا يطلقون على كل منطقة اسم القبيلة التي تسكنها كديرة عسيرة أو شهران أو قحطان ... إلخ . وفي العهد العثماني كانت تسمى « متصرفية عسير » ، أما في العهد السعودي عندما وحدت أجزاء المملكة في عهد المغفور له الملك عبد العزيز سمّيت « مقاطعة أبها » ، وأخيرا سمّيت « منطقة عسير » كاسم إداري . وهذا الاسم أصبح يشمل مناطق غير قبيلة عسير المشهورة التي تسكن جبال أبها وبطون أودية تهامة ، مثل قبائل شهران ، وقحطان ، ورجال الحجر ، وبارق ، ومحائل ،

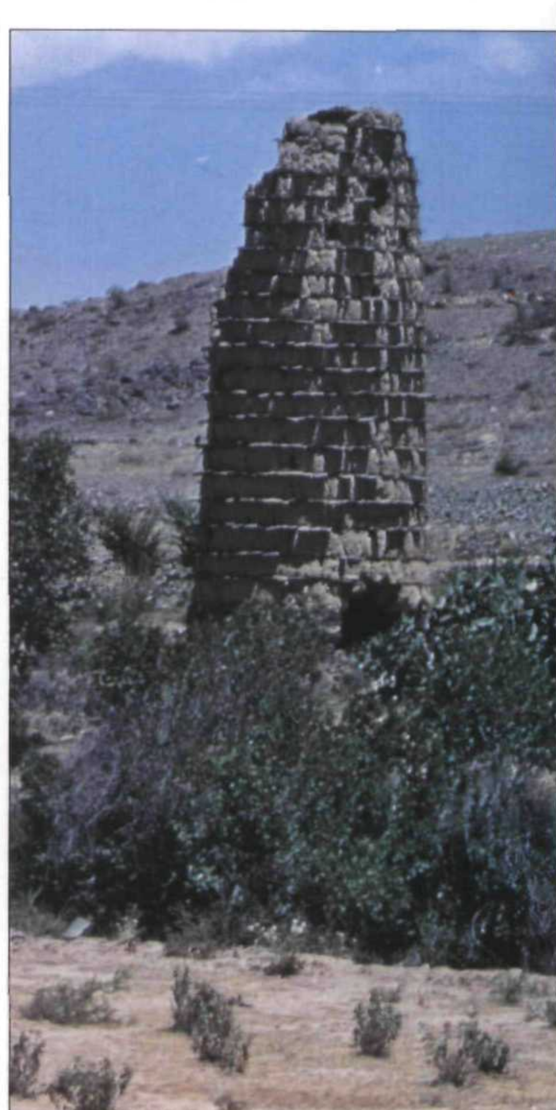


وقنا البحر ، وبالقرن ، وخثعم ، وشمران ، وبيشة النخل التي يسكنها قبائل أكلب ومعاوية وجزء كبير من شهران .

حـوادث تاريخيـة

لاشك في أن هذه المنطقة مغبونة أشد الغبن من الكتّاب والمؤرخين المعاصرين إذ لم تنل من أبنائها أو غيرهم العناية الكافية لكتابة تاريخها ، مع أنها جديرة بالبحث والدراسة بحكم موقعها بين شمال الجزيرة العربية وجنوبها مما جعلها تتعرض لتيارات مختلفة قبل ظهور الإسلام ، وكان بعضها سياسي والبعض الآخر ديني

١ - ٢ - القلاع حيث كانت تستخدم لمراقبة الأعداء، وكانت تبنى على شكل لولبي أو مخروطي حتى لا تتأثر تأثيرا مباشرا بالرصاص . وبعد أن استتب الأمر في ربوع الوطن أخذ الناس يستخدمونها بمثابة عنابر لخزن الحبوب .



والثالث اقتصادي . فلقد غزاها المعنيون الذين نشأوا في الجنوب العربي وبسطوا نفوذهم على شبه الجزيرة العربية بكاملها حتى فلسطين ، ثم دولة سبأ . وعندما سقطت سبأ خضعت لنفوذ حمير أو التبابعة الذين مدوا نفوذهم أيضا إلى الحجاز واليمامة ، وأخيرا الأحباش في غزوتهم على مكة المكرمة عام الفيل ولم يطل نفوذهم .

وجاء الإسلام فشملها بنوره وظلت كبقية أقسام الجزيرة في خلافة الراشدين والعصر الأموي ثم العصر العباسي إلى أن ضعفت سلطة بغداد وتقلص نفوذها فتولى أمرها أمراء القبائل . وتمر السنون سراعا وتخضع للحكم العثماني في سنة ١٨٢٦ م . وفي سنة ١٨٤٠ م خضعت لحكم الشريف حسين الذي كان يهتم بالموانىء والمداخل الرئيسية تاركا تصريف الأمور الداخلية لأمراء القبائل .. ثم جاء أحمد الأدريسي واستطاع التغلب على الأشراف ولكنه فشل في التغلب على الأتراك الذين احتلوا المنطقة . وبعد جلاء الأتراك عن المنطقة ، تولى الحكم فيها أسرة آل عائض من جهة وأمراء القبائل من جهة أخرى ، وهكذا ظلت المنطقة بين مد وجزر إلى أن جاء موحد الجزيرة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز فكانت منطقة عسير جزءا من هذا الطود الشامخ ألا وهو المملكة العربية السعودية .

الواقع الثقافي

كان ولازال لهذا الاقليم من وطننا الغالي دور وافر في مجال الأدب والثقافة ويروى أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قد امتدح وفدهم عندما أتوا إليه للمبايعة حيث وصفهم بأنهم « بلغاء فقهاء كادوا أن يكونوا أنبياء » أو ما معناه . ويزيدهم فخرا أنه ينتمي إليهم من فحول الشعراء وفرسان العرب رجال أمثال عمرو بن معد كرب القحطاني والشنفري وهو من بني شهر من أوس أو يوس . وهناك الكثير من المشاهير في العهدين الجاهلي والإسلامي ينتمون إلى تلك الديار .

أما عن واقع الثقافة المعاصرة فقد كان لنا لقاء مع عدد من المثقفين والمهتمين بالشؤون الثقافية ومنهم محمد الفواز ، مدير التعليم في منطقة أبها ، والأستاذ محمد عبد الله الحميد ، رئيس النادي الأدبي بأبها ، والأستاذ أحمد مطاعن ، نائب رئيس النادي الأدبي بأبها ، وعلي أحمد عسيري سكرتير النادي الأدبي ، والشيخ هاشم النعمي ، والأستاذ حسين الأشول ، من أعضاء النادي الأدبي بأبها ، والشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن آل الشيخ الذي له يد طولى في مجال التعليم ويعمل حاليا مديرا لأوقاف منطقة بيشه ، والأستاذ سعيد عبد الله الغامدي المهتم بتاريخ المنطقة ، وغيرهم من المفكرين والأدباء والمثقفين في المنطقة ، الذين أجمعوا على زخم التحول الكبير في مجال التعليم بجميع مراحله .

لمحة عامة عن الانسان

ان اتساع رقعة هذه المنطقة يبرز لنا اختلافات كثيرة سواء كانت مناخية أو بشرية ، وكما عرفنا سابقا تنوع المناخ فيها ، فإن الأمر يكاد ينطبق كذلك على الإنسان ، فهناك البادية وسكانها من البدو الرحل وهناك الحضر الذين يعيشون في المدن والقرى حيث تتوفر التجارة والزراعة والصناعات المختلفة . وباختلاف التركيب السكاني فإن ذلك يستتبع إلى حد ما اختلاف اللهجات وبعض التقاليد السائدة في المنطقة نفسها . وعلى سبيل المثال ، فإن لهجات السكان في قبائل عسير والقرى المجاورة لها يغلب عليها « الكشكشة » وهي إبدال الكاف بالشين لاسيما عند مخاطبة المؤنث مثل كلمة « ما حالش » بمعنى « كيف حالك » أما اللهجة في غالبية شهران وقحطان وبيشة النخل وعموم البادية فهم يقلبون الكاف « س » كقوله للمخاطبة « سيف حالس » أي « كيف حالك » . وفي تهامة كثير ما يستعمل « أم » بدل « الـ » كحرف تعريف نحو « أمجمل أم وادي » بدل « الجمل والوادي » ، والتعريف بأم من لهجات العرب كما ورد في الحديث الذي أشرنا إليه سابقا . غير أن هذه اللهجات آخذة في التلاشي تدريجيا وذلك نتيجة لانتشار التعليم في ربوع المنطقة .

الألقاب والمساواة

القوم لا يعرفون الألقاب التي قد تكون شائعة عند غيرهم ، فهم يدعون بعضهم بأسمائهم المجردة ويخاطبون أمراءهم بأسمائهم أيضاً دون ألقاب لأنهم لا يعبأون بالألقاب .





١ – يبدو في الصورة الأستاذ محمد عبد الله الحميد رئيس النادي الأدبي بأبها والأستاذ أحمد مطاعن نائب رئيس النادي والأستاذ علي العسيري سكرتير النادي يتحدثون إلى كاتب السطور عن أنشطة النادي .

٢ – الأستاذ سعيد عبد الله الغامدي يحمل في يده الدلو ويتحدث عن التراث الشعبي .

نظام الأسرة

تتمتع الأسرة بالروابط المتينة وبالتعاطف والاعتزاز فيما بينها ، والأب أو كبير السن في الأسرة هو المسؤول الأول عنها ، والكل يكنّ له الاحترام والتقدير حتى وإن كان الذي أصغر منه سنا هو عماد الأسرة الحقيقي من الناحية الاقتصادية .

والمرأة هي الركيزة الأساسية للأسرة ولها الحرية الكاملة في شؤون بيتها وأبنائها ، وفي الماضي كان لها شأن عظيم في مساعدة الرجل في الحقل ورعي الماشية .. ومن هنا نرى أن الأسرة عموما لها دور هام في تكوين المجتمع واستقراره ، وأن كل فرد يعتز بقبيلته ويعتبرها بمثابة أسرته في معظم الحقوق والواجبات .

أنظمة اجتماعية

المجتمع في منطقة الجنوب له أنظمة وعادات تحث على الترابط والتعاون ، ومن تلك الأنظمة والعادات أنه يوجد لكل قبيلة شيخ شمل وأعمال شيخ القبيلة تتمثل في كونها عملا قياديا وانسانيا ، ومهامه متعددة الجوانب ليس من السهولة حصرها .

مجال التعاون بين القبيلة

لكل قبيلة أو جماعة نظام خاص بها غالبا ما يكون لها نائب ويكون مسؤول عن شؤونها ويراجع شيخ القبيلة . ولكل قبيلة أو جماعة صندوق يسمى « صندوق العشيرة » يوضع فيه فائض الانتاج من الزراعة أو تجمع فيه التبرعات المادية سواء أكانوا من بادية أم من الريف ، ويؤمن ذلك عند النائب أو من يثق فيه أفراد القبيلة . وهناك نظام تصرف بموجبه الاعانات الخيرية أو مشاريع القبيلة حسب العرف لديهم وتتمثل في مساعدة المعسر ، أو من يريد الزواج وهو غير قادر على ذلك ماديا ، أو اقامة مسكن أو حفر بئر أو اعانة منكوبي الكوارث ، وغير ذلك من المساعدات ، بالإضافة إلى هذا ، فإن أفراد المجتمع يتعاونون مع بعضهم البعض في بناء المنازل وحصد الزرع وحفر الآبار وفتح الطرق . وهذا النوع من السلوك والنظام ينمو مع الفرد منذ طفولته بحيث يزداد خبرة ومرانا مع مرور الأيام ليصبح مواطنا ايجابيا في مجتمعه . ومع هذا فإن بعضا من هذه العادات قد تلاشى تبعا لتغير أنماط الحياة وبالذات فيما يتعلق بمجال الزراعة والبناء .

١



٢

١ – ٢ – النادي الأدبي بأبها يحرص على تشجيع الشباب على ممارسة الهوايات في مجالات التمثيل والفنون الجميلة

الضيافة

ان كرم الضيافة صفة يتميز بها أفراد المجتمع القبلي حيث أن الزائر يلمس مظاهر الحفاوة حتى وإن لم يكن هناك سابق معرفة به . ويذكرنا هذا الأمر بالضيافة عند العرب وصفاتهم الحميدة في هذا المضمار بصورة عامة وما قاله الشاعر المخضرم الحطيئة وهو يصف ذلك الاعرابي الذي نزل بـه الضيف وهو في فلاة معدم كيف تشمر وأهتم ليكرم وفادتـه حيث يقول :

وأفرد في شعب عجوزا ، ازاءها
ثلاثة أشباح تخالهم بهما
رأى شبحا وسط الظلام فراعه
فلما بدا ضيفا تسور واهتما
وقال ابنه لما رآه بحيرة
أيا أبت اذبحني ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم على الذي طرأ
يظن لنا مالاً فيوسعنا ذما

وكم يكون اعتزاز العربي وفرحه عظيمين عندما يكرم ضيفه ويقوم بواجب الضيافة والحفاوة نحوه حيث يقول الحطيئة عنه :

فباتوا كراما قد مضوا من ضيفهم
فلم يغرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا
لضيفهم والأم من بشرها أما

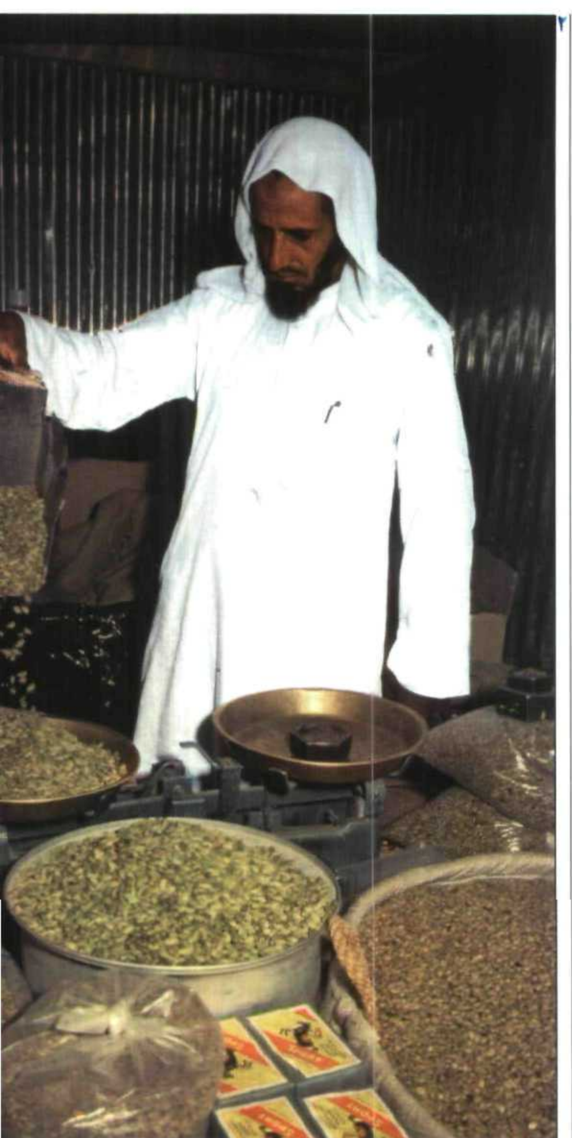
تلك هي صفات المواطن في هذه المنطقة حيث أنه إذا حل على أحدهم ضيف فإن أفراد القبيلة يهبون لإكرامه بعد إنهاء مراسيم الضيافة عند صاحبه . كما وأن الفقراء الذين يأوون إلى المساجد وكذلك عابر السبيل يرتب لهم ضيافة عند أحد أفراد الجماعة . وكان هناك نظام يعرف باسم « الخطة » وهي فرض ذبيحة أو أكثر من ذبيحة على كل فرد من أفراد القبيلة وذلك حسب امكانية الفرد وما يملك حتى إذا ما أقبل على القبيلة ضيف تولى ضيافته صاحب « الخطة » (١) نيابة عن القبيلة . وهكذا تتم العملية بطريقة دورية يقوم بترتيبها شخص يطلق عليه اسم « المدول » (٢) يتم اختياره من قبل القبيلة .

تقاليد الزواج

كان من تقاليد الزواج المتبعة لدى بعض قبائل المنطقة أن تكون بنات العم من نصيب أبناء أعمامهن ويمنع الغير من التقدم لهن . وكان أبو الفتى أو أخوه الأكبر يتقدم لأبي الفتاة أو ولي أمرها طالبا يد ابنته ، وتختلف مراسيم حفل الزواج من قبيلة إلى أخرى فمنهم من يجعل الحفل ليلا والبعض يجعله نهارا ، وكان سابقا ينقل الفتى جميع أثاث عروسته وملابسها والحلي إلى بيت والدها بواسطة الجمال ، وبعد الحفل تذهب الفتاة بالأثاث الذي جمعته من الزوج والأهل والأصدقاء إلى بيت الزوج .

(١) الخطة : الضيفة .

(٢) المدول : المنسق .



١ - ٢ - ٣ - لقطات مختلفة لاحدى الأسواق الشعبية التي تنتشر جنبا إلى جنب مع الأسواق الحديثة .

أما الآن فيكتفي الزوج باحضار ملابس وحلي العروس . وفي يوم الزواج يرافق العريس جمع من الرجال غالبا ما يكونون من أقاربه يرددون الأناشيد حاملين الأسلحة التقليدية حتى يصلوا إلى بيت أهل العروس حيث يكون في استقبالهم أهل العروس وقبيلتها في هيئة حسنة حاملين أيضا أسلحتهم ، وما أن يشاهد بعضهم البعض الآخر حتى يبدأوا في اطلاق النار في الفضاء ابتهاجا بيوم العرس ، وعند وصولهم يكون المستقبلون متراصين صفا واحدا وكذلك الأمر بالنسبة للقادمين ، ثم تؤدي التحية التقليدية ويتقدم كبار المستقبلين لمصافحة الضيوف ثم يتوزع القادمون على المستقبلين لاستضافتهم على حساب القبيلة قبل وليمة الزواج الرئيسية المعدة من قبل



أهل العروس . وبعد ذلك تقام وليمة أخرى في بيت العريس . وقد جرت العادة على أن يقدم أفراد القبيلة والأصدقاء معونة مالية للعريس ، وتقام أيضاً بهذه المناسبة العرضات والأناشيد الشعبية .

الأسـواق الشعبيـة

كانت كل جهة من جهات المنطقة أو كل قبيلة من القبائل تشهد سوقا أسبوعيا يجلب إليه الأهالي كل ما يريدون الإتجار به ، ولم يكن هناك مخازن بالشكل المعروف اليوم بل كان الناس يتوافدون إلى مكان محدد في برحة متسعة ليعرضوا ما لديهم من سلع وبضاعة .



رسم يمثل المحراث التقليدي الذي أخذ استعماله يتلاشى تدريجيا مع ظهور الآلات الحديثة .

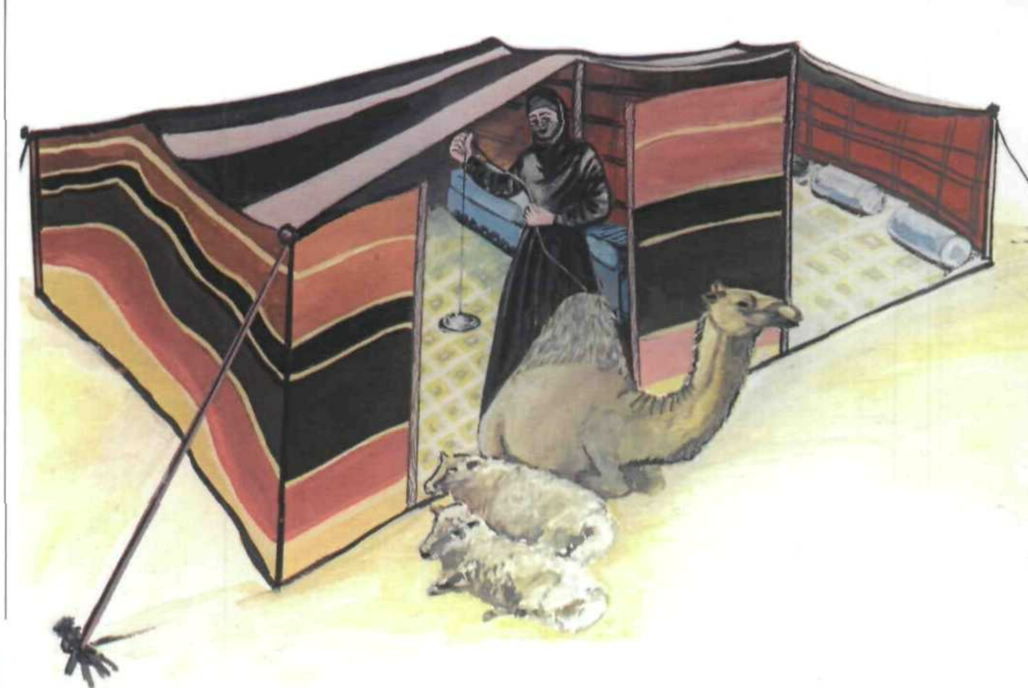
٣



وبالإضافة إلى كون يوم السوق هو يوم بيع وشراء ، فإنه يعد أيضاً يوما للمقاضاة والمحاكمة لدى شيوخ القبائل واعلانات الحكومة للناس . وكان في المنطقة ما يقارب من ١٥٠ سوقا ، ويسمى السوق بـ « سوق الثلاثاء » أو « الثلوث » والربوع والخميس وغيرها من أيام الأسبوع .

الحـرف الشعبيـة

كانت المنطقة تزخر بالعديد من الحرف والصناعات اليدوية الشعبية التي تفي بحاجات المنطقة ، إلا أن غزو المنتجات العصرية أفنت أو كادت تفني هذه الصناعة . ومن أهم هذه الصناعات اليدوية الشعبية : النجارة ، دباغة الجلود ، الحدادة ، الغزل ، الأدوات المنزلية ، الدهان ، والأسلحة التقليدية القديمة .



رسم يمثل عملية الغزل وجانبا من حياة البيئة في البادية .



رسم يمثل حرفــة النجارة الخاصة بصنع العجلــة «المحالة» الخاصة بالري .



١



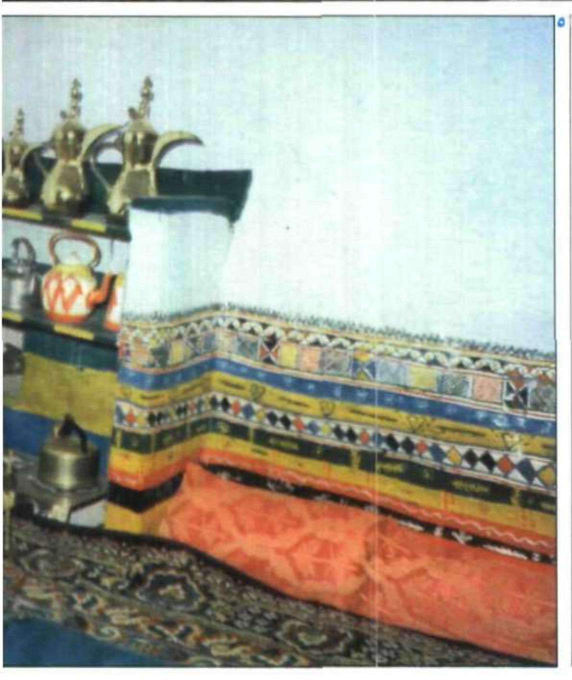
٢





الحدادة من الصناعات اليدوية التي مازالت تمارس هناك .

٥



الفنون الشعبية

ليس هناك في الواقع فرق شعبية متخصصة لاقامة الحفلات ، إلا أنه يوجد أفراد متخصصون في نقر الطبول وترديد الشعر النبطي في المناسبات . ومن يعش هناك لفترة ويتصادف وجوده مع مناسبات كالزواج أو غيره فإنه قد يشاهد ألوانا من الفنون الشعبية المختلفة كالعرضة والدمة والزامل أو الدوارة والمدقل والقزوعي والخطوة والزحفه والرانح والسامر وغيرها . وهناك رقصات صامتة مثل لعبة السيف والمزمار وتشتهر بها منطقة تهامة .

الدمة .. الصوت .. الزامل : أنه لون من ألوان العرضة ويؤديه عادة مجموعة من الرجال في المكان المعد للعرضة أو الحفل حيث يكوّنون صفا أو صفين حاملين في أيديهم سيوفا أو بنادق ، ويتقدمهم شخص ماهر ويسمى « هواز » أي رقاص بحيث يعطي اشارة تدل على حركة معينة فتتبعه المجموعة طبقا لحركته تلك حتى يصلوا إلى مكان الحفل ، والدمة رقصة تشتهر بها قبيلة عسير .

أما الصوت والمدقل والزامل فشتهر بها البادية .

الخطوة والزحفة : رقصة جماعية غنائية تقام عادة ليلا وتتألف من صفين يقابل أحدهما الآخر ويتبارى فيها شاعران حيث ينشد الشاعر الأول نشيدته وبعد أن يحفظها أغلب الصف يبدأ

١ – رجل الجنوب يتمنطق الخنجر والبندقية في الحفلات الشعبية .

٢ – ٣ – ٤ – لقطات من حفل عرس تتخلله ألوان مختلفة من الفنون الشعبية تؤدى على نقرات الدف والهاون .

٥ – « المقهوي » وهو مكان إعداد القهوة العربية للضيوف وقد نقش على جدرانه من الداخل نقوش جميلة





الرقص على قرعات الطبول ويتحرك في بطء كل صف نحو مكان الصف الآخر ، ومن ثم يرد الشاعر بالطريقة الأولى ويتفق مع الأول في آخر المصراع ويخالفه في المعنى ، ثم تردده المجموعة وتقرع الطبول ويبدأ الرقص مرة ثانية . وتشتهر قبائل عسير بالخطوة وقبائل رجال الحجر وبالقرن بالزحفة وكذلك العرضة الشعبية وهذا اللون خاص بالأفراح . يقول الشاعر في مناسبة ما :

يا جبال الظهارة سلم لي على منعى
رب منعى تسلم لي على وادي تنومة

وهذه الجبال في بلاد بني شهر والشاعر معجب بشموخها وجمالها الطبيعي ويطلب من كل جبل أن يهدي سلامه إلى الآخر .

السيف : رقصة صامتة تبدأ بقرع الطبول قرعا حماسيا ويكون الرقص بين شخصين وفي يد كل منهما سيف أو خنجر وعلى قرعات الطبول ترتفع الأقدام وتنخفض مع ارتفاع الجسم وخفضه في حركة رشيقة وسريعة ويهز كل منهما سيفه ويلوح به يمنة ويسرة في حركات بارعة ، ويتعاقب كل من يجيد هذه الرقصة لمدة حوالي ساعة أو أكثر .

الشعر النبطي : كان للشعر النبطي ولايزال دور كبير في تلك المنطقة . وهي كغيرها من مناطق المملكة تحفظ هذا التراث لأنه بمثابة سجل تاريخي لها ، إذ أنه يشتمل على كثير من الحوادث التي مرت بالمنطقة . كما تحفظ كثيرا من أسماء الأماكن والمواقع والرجال البارزين فيها . ومن الأمثلة على ذلك قصيدة خداش بن محمد بن زخنون القحطاني والتي تمتاز بأصالة





١ – ٢ – ٣ – ٤ – بعض الصناعات التقليدية التي تحمل طابــع مواطن الجنوب من ملبوسات وأسلحة وحلي وأدوات منزلية مما يهتم بهــا النادي الأدبي في أبها وبعض النوادي الرياضية في المنطقة . وقد التقطت هذه الصور في النادي الأدبي ونادي النخيل الرياضي في بيشة .

شعرية ، فخداش يعالج في قصيدته احدى المعارك التي دارت في المنطقة وينصح أبناءها بأن يكفوا عن التطاحن وسفك الدماء التي لا طائل من ورائها مشيدا بالعقلاء مثيرا نخوتهم وشهامتهم ومعرفتهم للحق والوقوف إلى جانبه منبها إياهم أن الاقتتال بينهم إنما هو تدمير لهم ، يقول خداش في هذا الصدد :

يا الله يا لي تنعش الطير بجناح
في الطير مصيود وفي الطير صايد
أقول خداش وفي صدري أجراح
يا ليت ما قد زل من العمر عائد
يا راكب اللي ينهب البيد ليراح
من فوق ما يطوي البلاد البعايد
رح لي بها ابن مشط كساب لمداح
شيخ عريق ترى هروجه وكايد

إلى أن يقول :

انتم من آل الرشيد كسابت امداح
وهل سيوف مـــا لهن الشرايـــد
وهل مهـــار لي قد البيض كلاح
لي طرحت لرســان فوق القلايد
وترحن عبيده تستوي فيهم أمداح
كم حارب ناهب كبوده غدايد
لما غزينـــا مخليـــة كل مرواح
نتلاك يـــا ابن سليم نمر الوكايد

ويستمر شاعرنا خداش في قصيدته الطويلة مناشدا الرجال نخوتهم وهممهم لإيقاف الاقتتال لأنهم لا يجنون منها إلا الخسران ويختم قصيدته بالنصح والانتهاء إلى الصلح والتحكيم فيما بينهم حيث يقول :

للحرب جرات وللصلح مفتـــاح
واللي يجر الحرب مـــا هو بفائد
اللي يجر الحرب ما هو برباح
مثل الذي يسفر بغير الفوائـــد
يا شيخ ترى ودي يجي بيننا اصلاح
والحرب يترك والهروج البعـــايد
أنت الطبيب وعارف طب الجراح
والفسل مــا ينفع ولا منــه زايد
وأنـــا لعيلات المعـــاقيد سماح
وأنـــا لصحاب المطاليق فايـــد
سلم عليهم عد مـــا هبت ريـــاح
وتمر القدا بين السعف والجرائـــد

لقد كان الشاعر شجاعا في قصيدته إذ اعترف للخصوم بالشجاعة مع اعتزازه ببني قومه ، وكان يمقت الحرب والاقتتال بين الأخوة بلا وجه حق ، ثم إذا كان هناك من أسباب فلابد من أن يكون هناك من حكماء وعقلاء يعرفون ماذا تعني الحروب وما هو وقودها . ليس هذا بغريب على شاعرنا خداش ، فقد سار على نبراس شاعرنا العريق عمرو بن معد كرب الذي ينتمي إلى القبيلة ذاتها ، ومع أنه كان فارسا من فرسان العرب المغاوير إلا أنه كان يمقت الحرب ويذمها حيث يقول :

الحرب أول مـا تكون فتيـة
تسعى بزينتهـا لكل جهـول
حتى إذا استعرت وشب مزامهـا
شمطاء جرت رأسهـا وتنكرت
مكروهـة للشـم والتقبيـل

الأمثال الشعبية : لون من التراث يحتضن جزءا من تاريخ الشعوب ومظهرا من مظاهر البيئة وتربيتها وعقلية أهلها ، وهي تنم عن بديهة قوية وخاطرة سريعة . والأمثال الشعبية تدل أيضاً على الحكمة والتجربة ، ومن الأمثال السائدة في المنطقة :

« الزم لي وأقطع لك » : وهذا يدل على الأنانية بحيث يقتسم أشخاص المصالح على حساب مضرة غيرهم .

« إذا كان ودي بالخصمة كسرت يدي في العصيدة » : ويعني أن الشخص الذي يحب الفتنة يبحث عن أتفه الأسباب وأسهلها . وقد شبه اثارة الفتنة بأتفه الأسباب مثل من يدعي أن العصيدة اللينة يمكن أن تكسر يده .

« أحفر الماء يكثر ورده ، قال ألا أدفن الماء يقل ورده » : وهذا المثل شبيه بالمثل القائل « أبعد عن الشر وغني له » .

وبعد ، فهذه هي الحلقة الرابعة والأخيرة من استطلاعنا الصحفي عن منطقة عسير ، التي نأمل أن نكون قد وفقنا في التعريف بها ، ومع ذلك فإننا ندرك أن هذا الاستطلاع ليس بحثا وإنما هو أشبه باللقطات السريعة التي تلفت النظر إلى هذه المنطقة . ولعلنا بعملنا المتواضع هذا نكون قد أسهمنا في ربط ماضيها التليد بحاضرها المجيد □

تصوير : علي عبدالله خليفة

٣


٤


من قضايا نقد الشعر في «أخبار أبي تمام» للصّولي

بقلم : د . محمد أحمد العزب / المدينة المنورة

حفل القرن الرابع الهجري بنخبة رائعة من النقاد الكبار ، نستطيع أن نضع في طليعتهم (ابن طباطبا — في عيار الشعر) و (قدامة بن جعفر — في نقد الشعر) و (أبا بكر الصولي — في أخبار أبي تمام) و (ابن بشر الآمدي في الموازنة بين أبي تمام والبحتري) و (القاضي الجرجاني — في الوساطة بين المتنبي وخصومه) .

وقد ترك هؤلاء في حقل الدراسات النقدية العربية القديمة زادا هائلا بالفعل ربما ماتزال الحركة النقدية العربية المعاصرة تعيش على جانب مضيء من مقولاته وقيمه ، فقد خاض هؤلاء في كل مناحي الظاهرة النقدية ، بدءا من مجرد الملاحظة اللغوية والجمالية ، وانتهاء إلى محاولات التأصيل والتقعيد .. فقد عرفوا — في مجال نقد الشعر — كيف يتوقفون عند وحدة البيت ويترقون منها إلى لمح الوحدة في القصيدة الكاملة ، وكيف يخوضون في محاولة وضع التعاريف والاجتهاد في مجال أن يكون التعريف جامعا لكل مفردات الظاهرة ومانعا من دخول غيرها فيها ، وكيف يوازنون بين شاعريتين أو أكثر مع ملاحظة أن تظل الموازنة نابعة من وحدة الموقف الشعري ووحدة الحركة الشاعرة ، وكيف يرصدون عوامل التأثير والتأثر ليتاح لهم تحديد موقف الذهنية الرائدة والذهنية المتابعة ، وكيف يحرسون تاريخ الإبداع من خلال حراسة القديم الذي استقر وحماية الحديث الذي يريد أن يستقر .. إلى غير أولئك من القيم النقدية الفاهمة التي تشكل في النهاية تاريخ العقل العربي الفنان والناقد في أعظم مراحل عصوره بلا استثناء .

والصولي في كتابه (أخبار أبي تمام) يضع في أيدينا مبررات هذا الحكم الذي قد يبدو للمتسرعين نوعا من العاطفة المسرفة نحو تاريخ يمثل الجذور والانتماء ، مع أنه — وفي إطار منهجية محايدة تماما — حكم يتسم بموضوعية المنطلق والقرار ، وينهض على أسس من الواقع الفكري الذي يرفض غير الحق التاريخي دثارا يتدثّر به في مهاب الرياح .

في (أخبار أبي تمام) للصولي تتجسد قضايا نقدية بارزة ، ربما جاز أن نحددها في هذه المحاور : (قضية القدماء والمحدثين) و (قضية الطبع والاغتصاب) و (أبو تمام والتجربة الإبداعية) و (الشعر بين الالتزام والتحرر) و (عيوب أبي تمام في رأي نقاده) .

وإذا كانت هذه هي القضايا التي يثيرها كتاب واحد لمؤلف واحد ، فلسنا نظننا مبالغين إذا زعمنا أن نوعية هذا العطاء يمكن أن تكون منعطفا تاريخيا هاما في مسيرة النقد بعامة ، والنقد العربي على وجه التخصيص . وها نحن نتأمل واحدة من هذه القضايا ، آملين أن يتاح لنا تأمل جميعها بلا استثناء .

(قضية القدماء والمحدثين) : كما يراها الصولي ، تبدو قضية محلولة منذ البدء ولكن طبيعة العصر الذي كان يتلقى الحكم النقدي في مثل هذه القضايا هي التي فرضت حصارات متعددة على العقل الناقد ، الذي كان يرى في القديم ريادة فنية مسلّمة ، ولكنه كان يرى كذلك أن هذا القديم إذا لم ينجب حديثا رائعا فقد حكم على نفسه بالعقم والبوار .. من هنا كانت رؤى النقاد في هذه المرحلة تنحاز بلا تردد إلى الحداثة الفنية ، لأنها كانت ترى في هذه الحداثة امتدادا طبيعيا متطورا للظاهرة الفنية القديمة ولأنها كانت ترى كذلك أن القديم عبر عن واقعه وانسانه ومرحلته ، ومن واجب الحديث أن ينهض بعبء التعبير عن واقعه وانسانه ومرحلته كذلك ، دون أن يغيب — بالتقليد والمتابعة — في غيره على الاطلاق .. وبديهي أن هذه الوضعية لا تلغي أن يفيد الخالف من السالف ، في الشكل والمضمون على السواء . ولكن هذه الإفادة مشروطة بأن يكون الخالف ذاته لا الآخرين ، وأن يعبّر عن معاناته وليس معاناة من سبقه بلا تبرير ، وأن يمتلك أداته التي يخاطب بها عصره وليس أدوات لا يستطيع المتلقي أن يفهم — من خلالها — عن المبدع .. فإذا تحققت هذه الشروط المسلّمة ، فإن من حق المعاصرين ، بعدها ، أن يفيدوا ما شاءوا من تجارب السابقين في التقنية والبناء والتشكيل .

يقول الصولي : (اعلم — أعزك الله — أن ألفاظ المحدثين مذ عهد بشار إلى وقتنا هذا ، كالمنتقلة إلى معان أبدع ، وألفاظ أقرب ، وكلام أرق ، وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء ، والطبع والاكتفاء . وأنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثون فشبهوه عيانا . كما لم ير المحدثون ما وصفوه هم مشاهدة وعانوه مدة دهرهم ، من ذكر الصحارى والبر والوحش والإبل والأخبية فهم في هذه أبدا دون القدماء ، كما أن القدماء فيما لم يروه أبدا ، دونهم ، وقد بين هذا أبو نواس بقوله :

صفة الطلول بـلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ثم يقول :

تصف الطلول على السماع بها أفذو العيان كأنت في الفهم ؟
وإذا وصفت الشيء متبعـــا لم تخل من زلل ومن وهم

ولأن المتأخرين إنما يجرون بريح المتقدمين . ويصبون على قوالبهم ، ويستمدون بلعابهم ، وينتجعون كلامهم ، وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده . وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها ومعاني أومأوا إليها . فأتى بها هؤلاء فأحسنوا فيها ، وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان ، والناس له أكثر استعمالا في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبتهم (١) .

القضية كانت محلولة إذن ، فليس يستطيع — حتى القدماء — أن يفرضوا على كل العصور رؤيتهم ولغتهم وهجسهم الدائم بالوجود ، وهكذا فهم الشعراء والمحدثون هذه المعادلة وتنفسوا من خلالها . ولكن بعض الرواة وعلماء اللغة والأخبار وأدباء المجالس كانوا يصرون على مصادرة منطق الأشياء ، ويجدون في اجترار القديم ضالتهم ومجدهم على السواء ، فقد عرفوا أسراره وكنوزه ، وتمرسوا بروايته ونقده واضاءة زواياه ، ولكنهم مع الحديث كانوا يعانون من وضعية مختلفة ، فليس لهم به بصر حقيقي وليست دروبه أمامهم ممهودة أو حتى مأمونة العثار ، فربما اختبأ لهم في كل خطوة فيه شرك أو شراك ، وربما عرى ادعاءهم للمعرفة بقوانين الفن وأطره ومقولاته .. من هنا انبروا له بالتتفيه والتقبيح والمصادرة وكأنهم فهموا أن ما يرفضونه هم سيرفضه كل الزمن وكل التاريخ :

(.. أما ما حكي عن بعض العلماء في اجتناب شعره (يعني أبا تمام) ولا أسمي منهم أحدا لصيانتي لأهل العلم جميعا ، وابقائي عليهم ، وحياطتي لهم . فلا تنكر أن يقع ذلك منهم . لأن أشعار الأوائل قد ذللت لهم وكثرت لها روايتهم ، ووجدوا أئمة قد ماشوها لهم ، وراضوا معانيها ، فهم يقرؤونها سالكين سبيل غيرها في تفاسيرها ، واستجادة جيدها وعيب رديئها .. وألفاظ القدماء وإن تفاضلت فإنها تتشابه وبعضها آخذ برقاب بعض ، فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ، ويقوون على صعبها بما ذاللوه ، ولم يجدوا في شعر المحدثين مذ عهد بشار أئمة كأئمتهم ولا رواة كرواتهم الذين تجتمع فيهم شرائطهم . ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به ، وقصروا فيه فجهلوه فعادوه ، كما قال الله جل وعز : « **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** » ، وكما قيل : (الإنسان عدو ما جهل ، ومن جهل شيئاً عاداه » . وفر العالم منهم من قوله إذا سئل أن يقرأ عليه شعر بشار وأبي نواس ومسلم وأبي تمام وغيرهم ، من (لا أحسن) إلى الطعن ، وخاصة على أبي تمام ، لأنه أقربهم عهدا ، وأصعبهم شعرا ، وكيف لا يفر إلى هذا من يقول : اقرءوا عليّ شعر الأوائل ، حتى إذا سئل عن شيء من أشعار هؤلاء جهله ، وإلى أي شيء يلجأ إلا إلى الطعن على ما لم يعرفه ، ولو أنصف لتعلم هذا من أهله ، كما تعلم غيره فكان متقدما في علمه ، إذا كان التعلم غير محظور على أحد ولا مخصوص به أحد) (٢) .

لقد استحالت القضية — عند هؤلاء — إلى قضية أسماء وعصور ، وليس قضية إبداع وفن ، إن النص يحكمه عند هؤلاء من قاله ، ومتى قيل — وليس يحكمه ماذا قال ، ولا كيف قال .. وهذه خطيئة أولئك النقاد التي لا يغفرها تكوينهم الفكري المنقطع عن تدفع تيار الحياة في مجراه الطبيعي .

ولعل فيما روي عن ابن الاعرابي الذي كان يتعصب لشعر هذيل وعلى شعر أبي تمام . ما يجسد حس هذه المأساة النقدية الفادحة . فقد حدث أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسي أنه قرأ على ابن الأعرابي أرجوزة لأبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل .

وعاذل عذلتـــه في عذله فظن أني جاهل من جهله

حتى أتمها .. (فقال : أكتب لي هذه ، فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنة هي ؟ قال : ما سمعت بأحسن منها . قلت : انها لأبي تمام . فقال : خرّق خرّق) (١) .

ويحزن الصولي — كما نحن — لهذا التيبّس الظالم الذي يجافي رحابة فهم الإسلام لطبيعة الحكمة ومصادر الحكمة كذلك ، فيروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : « الحكمة ضالة المؤمن ، فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك » (٢) ..

ويروى عن عبد الله بن العباس أنه قال : (الهوى إله معبود ، واحتج بقول الله عز وجل : « **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** » **(٣)** .. وكأن الصولي أراد أن ينبه إلى قيمة نقدية أساسية ، وهي أن ننظر في ما قيل وليس إلى من قال ، بعيدا عن التعصب الذي قد يستحيل إلها يشرك فيه الجامدون وقد حبس أمثال هؤلاء العملية النقدية في مجرد التصويب والتخطيء اللغويين ، وفي مجرد التهدي إلى معرفة من هو السابق إلى تعبير معين ومن هو اللاحق ، ومن هنا فقد جاز للنقاد الحقيقيين — من أمثال الصولي — أن يكشفوا زيف هؤلاء الجامدين الذين يصرون على التوقف واليباس .

إلا أن ذلك لم يمنع بعضا من هؤلاء النقاد أن يلحظ حقائق نقدية مفيدة ، وهامة فقد حكموا (بأن الشاعرين إذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعا هما ، أن يجعل السبق لأقدمهما سنا ، وأولهما موتا ، وينسب الأخذ إلى المتأخر لأن الأكثر كذا يقع ، وإن كانا في عصر ألحق بأشبههما به كلاما ، فإن أشكل ذلك تركوه لهما) (٤) .. وأمثال هذا الحكم يحظى بموافقة كل العقول الناقدة ، لأنه يقول بأشياء يمكن أن تكون أقرب إلى منطق الصواب وطبيعة الأشياء ، فهو ينصف القضية الفنية على المستويين : الحياتي والفني ، ويدع للاحتمال مجاله الطبيعي ، فإن أشكل الأمر فالطرفان فيه سواء ! □

---

(١) أخبار أبي تمام ، ص/١٤ — ١٥ .
(١) أخبار أبي تمام ، ص/١٧٥ — ١٧٦ .
(٢) نفس المصـــدر .
(٣) المصدر السابق ، ص/١٧٧ .
(٤) المصدر السابق ، ص/١٠٠ — ١٠١ .

الأستاذ عبدالله جفري

أجراه : علي الدميني / هيئة التحرير



في هذا اللقاء نتحاور مع كاتب وافر الجهد والحركة فهو كاتب قصصي ووجداني وصحفي شهدت له الساحة الصحفية نشاطاً مستمراً يمكن أن يعد واحداً من أبرز الذين استمروا في العمل في رحابها ، يدفعها حيناً ويجاذبها الحوار حيناً ولكنه لم يسترح بعد من رحلة التعب والثراء الوجداني .

للأستاذ عبدالله جفري مجموعات قصصية ، ونفحات وجدانية ضمنها كتابيه « اللحظات » و « حوار وصدى » . ويعمل حالياً نائباً لرئيس تحرير جريدة "الشرق الأوسط" في جدة .

■ القافلة : لماذا تتخلف كثيرا مسيرة تطور ابداعاتنا الأدبية المحلية عن مسيرة التطور العمراني والطفرة الاقتصادية التي تشهدها بلادنا في هذه المرحلة ؟

□ لكي نستخلص رؤية أقرب إلى الشمول عن هذه « الأزمة » التي تكاد أن تنال من روح الإنسان ، وتكاد أن تعصف بفكره الخلاق والمبدع .. ينبغي أن نتلمس – في البدء – أسباب هذه الخلخلة التي زلزلت المفكر ، و « الفنان » على امتداد مساحة العالم العربي ، قبل أن آتي إلى سؤالكم الذي حصرتم فيه تخلف مسيرة تطور ابداعاتنا الأدبية هنا فوق اقليمنا .

وفي البدء .. لابد أن نعترف أيضاً أن الكثير من تلفتنا الثقافي والفكري مازال يستقي ويستاف ويتلقى من المكتسبات الخارجية . بمعنى أننا لم نزل حتى الآن نعتمد على هذا « التلقي » كأنه التلقين مما يصل إلينا ونركض وراءه من فكر وأدب التيارات الأدبية في العالم العربي ، والعالم الخارجي .

أما عن العالم العربي .. فنحن تابعنا ودرسنا ولاحظنا العديد من المتغيرات في الفكر والأدب والفن الكتابي .. تلك المتغيرات التي زاملت ، أو تأثرت بالمتغيرات السياسية ، وما صاحب ذلك من انفلاشات تساقطت في الساحة العربية ، والتصقت بالمفاهيم ، وتلونت بها مناهج التعليم ، واضطربت فيها مسيرة الفكر والأدب العربي الحديث .. كأنما التطورات السياسية قد أخضعت الفكر والأدب عن المؤثرات في المجتمع .

هذه الانفلاشات تنوعت بتنوع ما وفد إلى المنطقة العربية من شعارات متضاربة ، وتنوعت – كذلك – بتنوع ما عانت منه المنطقة العربية منذ منتصف السبعينات وحتى الآن من « تقلبات » في المناخ الذي يتوجه بالكلمة العربية إلى دعاوات محددة ، وشعارات مقننة .. فحدث التخلخل في عطاء ، وفي قدرة ، وفي تجليات المفكر والأديب والفنان العربي .

وبسبب تلك المعاناة ذات التأثير المباشر من واقع الوطن العربي .. حدث أيضاً هذا التسطيح للفكر العربي ، وحدث هذا الاقعاد للإبداع بالكلمة .

أما عن العالم الخارجي .. فان مستوى الترجمة قد ضعف في وسائل وصول المترجم إلينا من فكر وأدب اللغات الأخرى . ولعل

ضعف أو انحسار نشاط الترجمة إلى العربية يرجع إلى تهدّم واحدة من تلك القلاع التي كانت تمدنا بالجديد مترجما من العالم .. تلك القلعة كانت بيروت . والذين نزحوا عنها وهاجروا لم ينقلوا معهم ذلك الحس الثقافي والروحي عندما كانوا في بيروت مستقرين ويترجمون وينتقون ، بل انشغلوا بجدوى العيش والطرق التي توفر لهم البقاء وقتا أطول في الغربة — نظرا لرؤيتهم الأبعد إلى طول التمزق للأرض اللبنانية . فتحولت هجرتهم إلى بحث عن العمل وإلى تكثيف صحافي عبر المجلات المهاجرة .

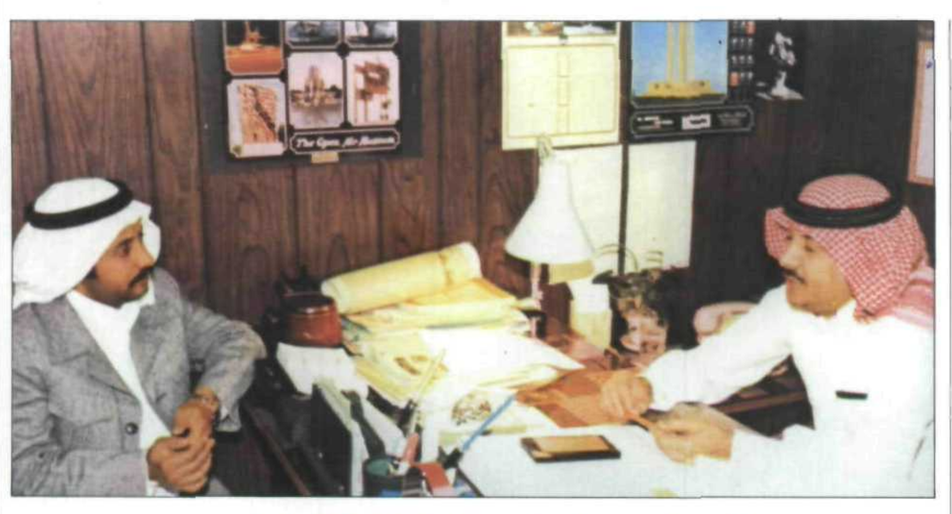
كذلك فان ضعف وانحسار نشاط الترجمة إلى العربية يرجع إلى محنة قلعة أخرى من تلك القلاع التي كانت تعطينا — إلى حد ما — الجديد مترجما من العالم الخارجي .. تلك القلعة كانت مصر . والترجمة فيهــا ومنها خضعت مثل التــأليف والإبداع والأدب والفكر للمتغيرات السياسية .

وإذن .. فان تلقينا لكل ما كنا نتأثر به ونأخذ عنه ونجاريه أو نقلده ، أو نحاول مواكبته .. قد تأثر بتلك الأسباب الهامة .

لكننا — رغم ذلك كله — لا يحق لنا أن نشير إلى محاولة جادة .. كان الهدف منها بناء الشخصية الأدبية الفكرية الفنية النابعة من طبيعة هذا الأقليم ، والمتشربة برواء هذه الأرض .. فبرزت مواهب من الداخل كانت تحمل مخايل الابداع والانطلاق خارج حدود الاقليم . ولكن هذا البروز لم يزل يرتبط بقدرة المجهود الشخصي للأديب وللشاعر وللكاتب وللفنان . يعنى أننا لم نزل نفتقر إلى القاعدة التي تقف فوقها كل المواهب وكل المبدعين ونتلقى الدعم والمؤازرة والتوجيه والعون على فتح الأبواب لها لتنطلق معروفة في العالم العربي .

نعم .. في بلادنا مسيرة بناء ونماء خيّرة .. لمست بعصا سحرية الواقع الاقتصادي والعمراني والحضاري . ولكنها تركت مسيرة تطور ابداعاتنا الأدبية المحلية للمجهود الخاص . أو للمحاولات الطموحة والذهبية .

وأحسب أن دور النوادي الأدبية محدود . بل ويبدو أحيانا عاجزا . ودور الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون المتواضع : خافت



الأسـتاذ عبـد الله جفري يتحدث إلى كاتب السطور .

الاضاءة . وكما قال شيخنا « حمد الجاسر » : ان الرئاسة العامة لرعاية الشباب تهتم حتى الآن بالاقدام والأيدي — الرياضة — أكثر من اهتمامها بالعقول وبالروح .. فالنسبة الأكبر من الاعتمادات المالية توجه إلى النوادي الرياضية ، وكرة القدم بالذات . ونحتاج إلى جهة مسئولة مخصصة لرعاية الثقافة .. رعاية العقول والأرواح ، ونحتاج إلى انطلاق لدور وخطوات وفعل الأندية الأدبية . وإلى غربلة هذه الأندية واختيار العناصر النشيطة والعاملة والمنتجة .. ذلك أن الدور الرسمي المنبثق عن الدولة هو إلحاح هام .. ينظم ويخطط ويدعم وينمي وينتج .. وهذا الدور يستهدف التقييم للنماذج المطروحة والفاعلة ، ويستهدف التنشيط واحياء التراث بخطة تخرج من نطاق العمل الفردي الذي يقوم به باحث أو مؤلف . ويستهدف الانتشار أو النشر والتسويق بعد طبع النتاج .

■ القافلة : يلمس المتابع تطورا نسبيا في مجال الابداع القصصي المحلي على صعيد القصة القصيرة ولكنه لا يجد أي تطور في فن الرواية بل اننا نشهد غياب شبه تام فهل لنا أن نتعرف على تحليلكم لهذه الظاهرة ؟

□ لا أعتقد أن القضية تحتاج إلى تحليل .. فالكاتب يحتاج إلى دوافع ومنشطات ومناخ ليجد انتاجه متداولا ، ومنتشرا ، وله تلك الأصداء التي تتلقف ماعناه وألمح إليه وصوره .

الرواية مفقودة وغائبة .. هذا صحيح . ولكننا كنا رواداً فيها من الزمن القديم ، وان جاءت الريادة مصحوبة بملامح البداية أو التجربة . لكن روّادنا أو أوائلنا قد حاولوا ، وكانوا أكثر شجاعة وعزما من الكتاب الشباب ، أو المعاصرين الآن .

والآن — أيضاً — ظهرت محاولات جديدة مع بداية ظهور نشاط بعض دور النشر ، فقرأنا « ابراهيم الناصر » روائيا ، وكانت له القدرة على الاستمرار مع ظهور بعض دور النشر لولا أن اختفاءه — غير المعلن — جعله يتوارى كروائي .. ولعله وجد أن الكتابة للتلفاز أجدى ، ولكن العمل الأدبي هو ما كان مطبوعا مقروءا مدروسا ، فالعبارة المكتوبة غيرها العبارة الممثلة أو الحوارية أو الخاضعة للسيناريو . ولكن قدرات « ابراهيم الناصر » فعالة لو لم يخذلها !

وقرأنا رواية « فؤاد مفتي » وهي طلوع جيد في العودة لأدب الرواية . وقرأنا للدكتورة « أمل شطا » وقرأنا رواية « فؤاد عنقاوي » . والمشكلة في رأيي أن انحسار أو اختفاء النقد الموضوعي والفني يجهض كل محاولة جادة .. فإذا لم يكن نقد يوجّه .. لن يكون هناك عمل ابداعي . والناقد نفتقده بينما نجد الكثير من الاستعراض . ومن التنظير — جاءنا من عدوى السياسة ! ونجد الكثير من القدح والسباب والتحطيب والملامسة

الذاتية أو الشخصية !

أيضاً .. فان « الرواية » انعكاس لهموم المجتمع ، وأفراحه ومعاناته ، وأعتقد أن الروائي الجيد والفنان يستطيع أن يستخلص الكثير من الأفكار والأبطال .. لكنه يتردد — فيما اعتقد — لعدم قدرته على (الاباحة) الفنية ، لأنه يخضع الصورة الفنية لرقابة العادات والتقاليد والسلامة من المؤاخذة !!

ولكني أتوقع في المرحلة القادمة ظهور الرواية من جديد .. يدفعها إلى ذلك عامل هام وهو توفر دار النشر التي تفسح الطريق أمامها !

■ القافلة : كيف تكتب القصة القصيرة ؟ انفعالا ... ودفعة واحدة ، أم تخطط لها وتكتبها على مراحل ؟

□ الفكرة التي انفعل بها .. تعني عندي سهولة عرضها وتصويرها وتجسيد المعنى المستخلص منها . ولكن الانفعال بالفكرة لا أعثر عليه في كل الأحوال ، ممكن أن تتبلور فكرة قصة في ذهني ولا أنفعل بها ، أو لا أنفعل لها ، فتبقى وقتا طويلا تلوب ولا تتمحور .. ولكنها فجأة . وربما بعد وقت طويل . أجدها منتصبة تنادي وتدعوني إلى كتابتها !

ذلك جانب . وجانب آخر عن التخطيط للفكرة : انني لا أخطط لها ، فقط .. تأخذ مني بضعة سطور — للتذكر — على ورقة صغيرة .. قد تبقى في جيبي شهورا ، وقد تلمسني بالانفعال لها في حينها فأعتزل كل شيء ، وأغذيها ، وأولّدها ، ويأتي المخاض .. لكني لا أخطط مسيرة الفكرة ، ولا أفكر في مفاجآتها المحتملة .. فقط أجلس إلى الورق ومعي تلك البرشامة الصغيرة وأبدأ المخاض .. وعند الكتابة تتفرع ، وتتكاثف وتتساقط وتنتشر الكلمات والمعاني والصور .. ومع الكتابة تأتي التفاصيل ، وغالبا تتضح النهاية أو القفلة .

أيضاً .. لا أكتب على مراحل ، بل تكون جلستي هي البداية والنهاية للقصة ، وأيضاً لأي موضوع أجلس لكتابته ، ولو حدث طارئ أوقفني عن الكتابة ، فتجدني أعيد ما كتبت من جديد .. لذلك فان زمن الكتابة عندي مغلق أمام كل مقتحم .. حتى نفسي لا أجدها . بل تتخلل وتمتزج بالكلمة التي اكتبها آنذاك !

■ القافلة : يعاب على أدبائنا الشباب غموض كتاباتهم ومحاولاتهم العديدة للتعبير عن تجاربهم المرتبطة بمجتمعنا بشكل فني جديد تعامل معه كتاب من بلدان أخرى لا مجال لمقارنة ثقافة مواطننا وحسه الفني بحس شعوب تلك البلدان ، وسؤالنا هو : هل هناك أسس موضوعية لهذا الغموض أم أنه غموض من أجل الغموض وحسب ؟



« لم نزل نفتقر إلى القاعدة التي تقف فوقها كل المواهب وكل المبدعين » .

□ العصر الحاضر الذي نعيشه .. أبدلنا فيه التسمية ، أو التعريف لمدرسة « الرمز » التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر . الآن .. يسمون الرمز : الغموض ، أو أن الذين يكتبون هذا الغموض يدّعون أنهم امتداد لمدرسة الرمز القديمة !

وأرى أن في الكثير مما يكتب اليوم يبعد عن (فن) الرمز ، ولا يمت إليه بصلة ولا بروح . لعل أكثره تنطبق عليه صفة (التهويم) واجتلاب بعض الكلمات وتركيبها في معنى يغرق في التغريب اللفظي ، أو في غربة المعنى .. فتحس أن ما تقرأه يضج بغربة الفهم ، أو بتغريب التعبير .

ومن المفارقات العجيبة أنني في منتصف عمري الكتابي كنت أعمد إلى الكتابة بالرمز ، ولكني كنت في ذات الوقت أحرص أن ابتعد بالمعنى عن التغريب ، واقترب باللفظة والعبارة من الفهم عند القارىء ، وهو الفهم بالايحاء ، أو الايعاز ، أو التلميح .. ورغم ذلك وجّهت إلى كتاباتي تلك ، تهمة الغموض !

ولكنك حينما تقرأ الآن ما كنت قد كتبته سالفا ، وأكتبه الآن .. تجده بعيدا عن الغموض ، وتستشف المعنى والرمز والايحاء ..

والكتابة الرمزية في اعتباري قد تراوحت في تاريخها : ما بين الاحتياج والترف .. فهي في بداية ظهورها كمدرسة في فرنسا مع نهاية القرن التاسع عشر كانت احتياجا ينبع من هدفين :

— **الهدف الأول** : الانتماء إلى (الأسطورة والديانات واللغات والفنون والتاريخ والعلوم وهي مناشط تمثل رموزا للحضارة الانسانيـة) الموسوعة — وقد شرح ذلك بالتفصيل الفيلسوف « كاسيرر » في مؤلفه : « فلسفة الأشكال الرمزية » .

فالرمز هنا .. ينتمي إلى معاني وقوائم الحضارة الانسانية ، وهو فن له قواعد وأصول ، ولا يكتب كيفما اتفق !!

— **الهدف الآخر** : الظروف الاجتماعية والسياسية التي عانت منها الانسانية .. فأثرت على الحرية ، وعلى الحوار ، وعلى الابداع الفكري .. فاضطر المفكرون والأدباء والشعراء إلى أن يسلكوا منهجا يرمزون به ، ويوعزون ، ويوحون ويلمحون إلى الفكرة الحقيقية التي يشرئبون إلى نشرها .

وقراءتنا عن تاريخ مدرسة الرمز تدل على ازدهار هذا الأسلوب من الكتابة في الشعر ، ثم في الدراما عند « مترلنك » ، وفي النقد الأدبي عند « ريمي دي جورمون » ، وفي الموسيقى عند « دي برسي » ، واتهم الرمزيون الأوائل — رغم ابداعهم — باعتلال الذوق ، ومنهم : فيرلين ، ومالارميه ، ورمبو .. لأنهم استخدموا الخيال على أنه حقيقة ! — الموسوعة .

ويخيل إلي أن الأغراق في الخيال ، أو في التخيل قد اغتال الكثير من الحقائق التي كان ينبغي علينا أن نواجهها بالكتابة المباشرة ، أو بالكتابة « الانقلابية » حسب تعبير نزار قباني !

فقد انتهى الوقت المليء بالصبر وبالتحمل من قارئ لكاتب يلف ويدور ويغرق في العبارة الخيالية ، أو يستغرق في التلميح والايحاء .. فلا وقت الآن لدى القارئ .. أما أن تعلن فكرتك — ككاتب — بوضوح وبشجاعة وتدافع عنها ، أو تصمت وتنسحب ليأتي مكانك من يحتمل الدفاع عن فكرته !

الأستاذ عبدالله جفري

■ القافلة : بعد فترة طويلة من قلة الامكانات المالية والفنية خرجت دفعة واحدة إلى ساحتنا الثقافية مجموعات كثيرة من انتاج كتابنا المحليين وهذه الكتب على وجه العموم تشكل ظاهرة جديدة من حيث الكم والانتشار والمساهمة في تحريك الحياة الثقافية وانطلاقا من معرفتنا بتدني مستوى كثير من هذه المطبوعات واساءتها إلى مستوى ثقافتنا وقرائنا نود أن نسمع منكم تقويما لهذه الظاهرة ؟

□ لا أعتبرها ظاهرة !!

دائما مع بداية كل عمل متحرك وتغييري أو تطويري .. تختلط أشياء كثيرة ، وتتدافع أشكال كثيرة ، وتتزاحم وتنهمر .. ولكن في النهاية لا يصح إلا الصحيح . نجد « الفلتر » الذي صفى الشوائب ، والغربال الذي أسقط واستبقى !

وإذا كنا نقول : ان حجم انتاج أدبائنا محدود ، فدور النشر تطبق المثل القائل : « الجود من الموجود » ! ولست أدافع عن دور النشر ولكنها كلمة انصاف .. فدار نشر كبيرة مثل « تهامة » أصدرت سلسلة : « الكتاب العربي السعودي » وسلسلة : « مطبوعات تهامة » وسلسلة : « الكتاب الجامعي » ، وسلسلة : « رسائل جامعية » ، ولم تنشر في كل هذه المطبوعات ، أو « السلاسل » لأي اسم غير معروف .. فكل الذين توجت المطبوعات بأسمائهم هم من الكتاب المعروفين ، أو من الأكاديميين الحاصلين على الدكتوراة ، فهذا هو الموجود ، أو لعله « فخر الموجود ! » .. فماذا تفعل أي دار نشر .. إذا كان انتاج هذا الاسم اللامع ، أو الأديب المشهور ، أو الأكاديمي الدكتور .. أقل من المستوى المطلوب ، أو حافل بالعيوب ، أو لا يستحق النشر ؟!

أعتقد .. ان دور النقد ، ودور الناقد الموضوعي .. دور مهم ومطلوب لغربلة وتقييم هذا السيل المتدفق .

لقد فرحنا بنجاح دار للنشر تنفض الغبار عن المخطوطات وعن الأعمال الأدبية والعلمية وتعطيها فرصة الطبع والنشر والتسويق والانتشار ، وكنا في السابق نشكو من انعدام دار واحدة للنشر .



« الصفحات الثقافية في صحفنا ساعدت على بلورة مواهب جديدة وأسماء عديدة من الكتاب الشباب » .

ولكني معك — بعد أن أعطت دار النشر هذه الفرصة الذهبية — أن تتريث الآن قليلا في الاختيار ، وأن تخضع كل عمل أدبي وفكري وعلمي للنشر إلى لجنة متخصصة تقيم العمل قبل الاقدام على مغامرة طبعه ، ثم مواجهة كساده !

ولكنني — لو وافقتكم على تسميتها بالظاهرة — فانها : ظاهرة صحية .. إذا رجعتم معي إلى معنى الآية الكريمة : « أما الزبد فيذهب جفاء » !!

■ القافلة : أسهمت تجربة الصفحات الثقافية في صحفنا بشكل كبير في تشكيل ملامح واقعنا الثقافي وأنت كأحد أبرز من ساهموا في هذه الصفحات تحريرا واشرافا ، نود أن تعطينا تحليلا لنتائج هذه التجربة .

□ بلا شك أن الصفحات الثقافية في صحفنا أدت خدمات مضيئة ، وساعدت على بلورة مواهب جديدة ، وتقديم أسماء من الكتاب الشباب الذين أسهمت في تلميعهم وصقلهم . وعبر هذه الصفحات انطلق جيل جديد من الأقلام الواعدة .

وبحكم تجربتي الطويلة في العمل الصحافي ، ومن واقع اشرافي على بعض الصفحات الثقافية سنوات عديدة .. كانت رؤيتي تفاؤلية واستبشارية . وكنت أشهد طلوع بعض النجوم التي أخذت اليوم مكانها في سماء الكتابة .. غير أنني أحزن — أحيانا — عندما يصدمني « نجم » بموقف يكشف فيه تناسيه وجحوده !

ويبقى ، أخيرا ، دور هذه الصفحات في العطاء لخدمة المواهب وصقلها .. هذا الدور الملموس والمطلوب دوما لافراز الولادات الفكرية الجيدة .

■ القافلة : كيف يستطيع كتابنا صياغة فكر ثقافي أفضل نستطيع أن نقدمه كدلالة حضارية تشير إلى مستوى الوعي والابداع الذي نعيشه لنعرضه على الآخرين خارج الوطن ؟

□ ان لا يحجز الانسان نفسه في ما لديه من التراث ، وأن لا يعطي لنفسه الترخص في أن تكون ثقافته مما يقرأ : بأن يهمل التراث ويتخذ ثقافة من هذا الذي يرد إليه .

فالمثقف — بحق — هو الذي لا يتنكر لتراثه ، ولا يجفو ما يصل إليه من كتاب ، وذلك بأن يجمع بين كل ما خطه قلم انسان ، وما أبدعه فكر انسان .. فالمثقف ينبغي أن يكون انسانا بكل شيء ، ولكل شيء .. فالجمود على الماضي كاسقاطه حين ينصرف إلى الحاضر ، والماضي والحاضر هما دعامة الثقافة للانسان □

رقم قياسي جديد في نقل المعدات الثقيلة

تم مؤخرا نقل ثلاثة خزانات ضغط من الجعيمة إلى خريص في رحلة طولها ٤٦٠ كيلومترا . ويزن الواحد منها ٢٠٠ طن متري . ويبلغ طوله ١٦٨ قدما وقطره ١٨ قدما . لقد ضربت أرامكو رقما قياسيا جديدا في نقل الحمولات الضخمة لمسافات طويلة ، إذ أن مثل هذه الحمولات يعتبر من الأمور الشاقة ، نظرا لثقلها وطول المسافة التي تقطعها ، ناهيك عما يبذل في سبيل توصيلها إلى مقرها الأخير من اجراءات في السلامة غاية في الخطورة والأهمية . لقد استغرق نقل هذه الخزانات أحد عشر يوما ، في حين لم يستغرق نقل الحمولات الماضية أكثر من سبعة أيام ، ولم يزد الوزن عن نصف الحمولة التي نحن في صدد الحديث عنها على حد تعبير السيد محمد السيف ، مدير إدارة توزيع المواد . هذا وقد استخدم في عملية نقل هذه الخزانات الضخمة أربعة جرارات سحب ثقيلة ، واثنتا عشرة مقطورة مسطحة ذات عجلات عديدة ، واثنتا عشرة عربة مرافقة تؤلف في مجموعها قافلة طولها نحو ميل .

١


ورقة في أرامكو

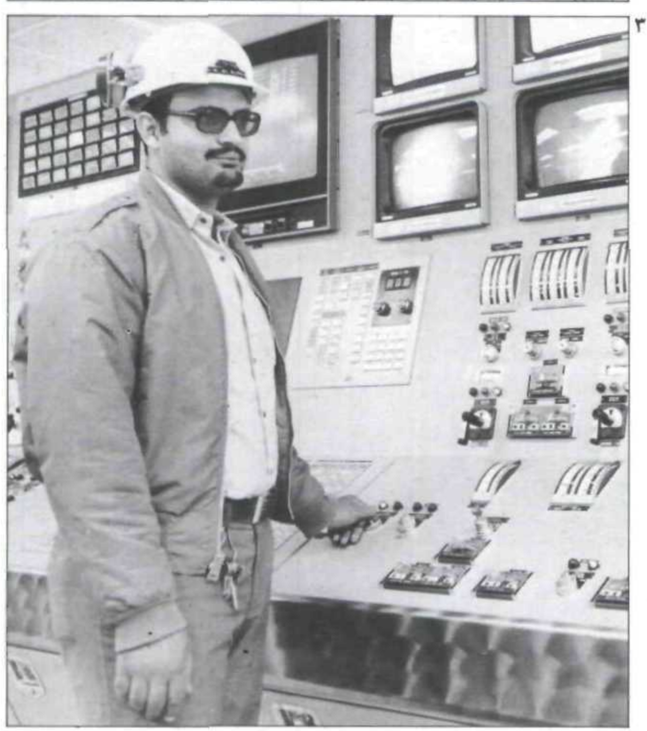
تشغيل وحدة جديدة في محطة كهرباء غزلان

جرى في الآونة الأخيرة تشغيل الوحدة الثالثة من مجموع أربع وحدات يتم انشاؤها في محطة كهرباء غزلان ، أول محطة توليد كبرى تعمل بدفع البخار تنشأ في المملكة العربية السعودية . وتقع هذه المحطة على مسافة ٨ كيلومترات تقريبا شمالي الجعيمة وحوالي ٣٧ كيلومترا جنوبي الجبيل ، وبتشغيل الوحدة الثالثة التي تبلغ طاقتها ٤٠٠ ميقاواط سترتفع الطاقة الاجمالية التي تولدها محطة غزلان إلى ١٢٠٠ ميقاواط .

أما الوحدة الرابعة المقرر انشاؤها في محطة غزلان سيتم انجازها في وقت لاحق من هذا العام وبذلك تصبح طاقة المحطة ١٦٠٠ ميقاواط .

وجدير بالذكر أن العمل على مشروع محطة كهرباء غزلان قد بدأ في عام ١٩٧٦ م وذلك بإنشاء الوحدتين الأولى والثانية ، وهو التاريخ الذي تم فيه تأسيس الشركة السعودية الموحدة للكهرباء « سكيكو » في المنطقة الشرقية . وقد تم انجاز الوحدتين الأولى والثانية في يناير ١٩٨٠ م . ثم لم تلبث « سكيكو » أن باشرت العمل على الوحدة الثالثة لمواجهة الزيادة المطردة في احتياجات المنطقة من الطاقة الكهربائية . والمعروف أن معظم الطاقة الكهربائية في المنطقة يجرى توليدها بواسطة الطوربينات الغازية . بيد أن محطة كهرباء غزلان يتم توليد الكهرباء فيها بواسطة طوربينات البخار التي تستخدم وقودا أقل من الطوربينات العادية .

٢


٣


١ – هذه أضخم حمولة جرى نقلها من الجعيمة إلى خريص برا حتى الآن وهي مؤلفة من ثلاثة خزانات ضغط .

٢ – منظر عام لمحطة كهرباء غزلان تبدو فيه وحدات توليد الطاقة الكهربائية .

٣ – السيد داشوش العجمة ، رئيس المشغلين في المحطة ، يقوم بمراقبة أعمال الوحدة الثالثة الجديدة من غرفة المراقبة في المحطة .

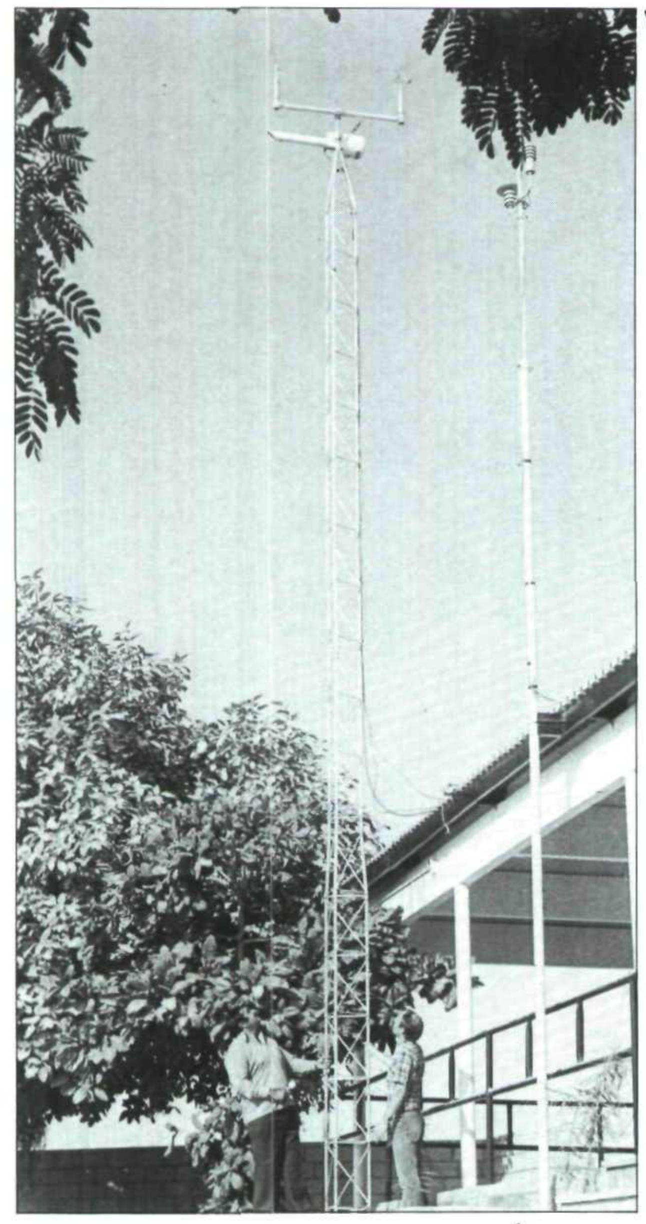
اقامة خمس محطات جديدة لرصد الأحوال الجوية

يجرى حاليا إنشاء خمس محطات لاستطلاع الأحوال الجوية في مناطق عمل أرامكو . اثنتان منها على اليابسة – واحدة في كل من الظهران والعضيلية – وثلاث في المناطق المغمورة ، واحدة في كل من السفانية ومرجان وأبو سعفة .

وستحل المحطتان الجديدتان اللتان على اليابسة محل اثنتين قديمتين ، وستساعدان على جمع المعلومات عن الأحوال الجوية بالإضافة إلى المحطات الميكانيكية القديمة الأخرى والكائنة في كل من بقيق وخريص ورأس تنورة والبرّي والسفانية . وفي الوقت نفسه ستقوم المحطات الثلاث الجديدة ، التي يجري انشاؤها حاليا في المنطقة المغمورة ، بتوفير المعلومات الجوية اللازمة يوميا للأعمال البحرية ولتخطيط المشاريع على المدى الطويل .

المثقب المزود بحاسب آلي

من الأدوات الحديثة التي دخلت ميدان الأعمال الميكانيكية بشكل لم يسبق له مثيل هو المثقب المزود بحاسب آلي ، والذي يستخدم في أعمال مرافق ورش المنطقة الشمالية بالجعيمة ، لإصلاح واستبدال القطع التالفة في المبدلات الحرارية . وباستخدام هذا المثقب يستطيع العاملون في ورش المنطقة الشمالية انجاز الأعمال الخاصة بالمبدلات الحرارية بسرعة تزيد على ثلاثة أمثال السرعة التي يتطلبها المثقب اليدوي . وهذا في حد ذاته يعني توفير الوقت اللازم لمثل هذه الأعمال في مرافق معالجة الزيت والغاز في أرامكو . ويعتبر هذا المثقب الآلي من أحدث ما قدمته الصناعة والتقنية في حقل الأعمال الميكانيكية ، إذ يجمع بين أرقى ما توصل إليه علم الالكترونيات ، وأجهزة التحكم الهيدروليكية والميكانيكية .



١ – السيدان أحمد الغامدي و جيرارد قوتس ، من وحدة البيئة ، يتفحصان برج تسجيل سرعة الرياح واتجاهها في محطة الظهران الجديدة الكائنة بالقرب من مبنى ملعب الجولف .

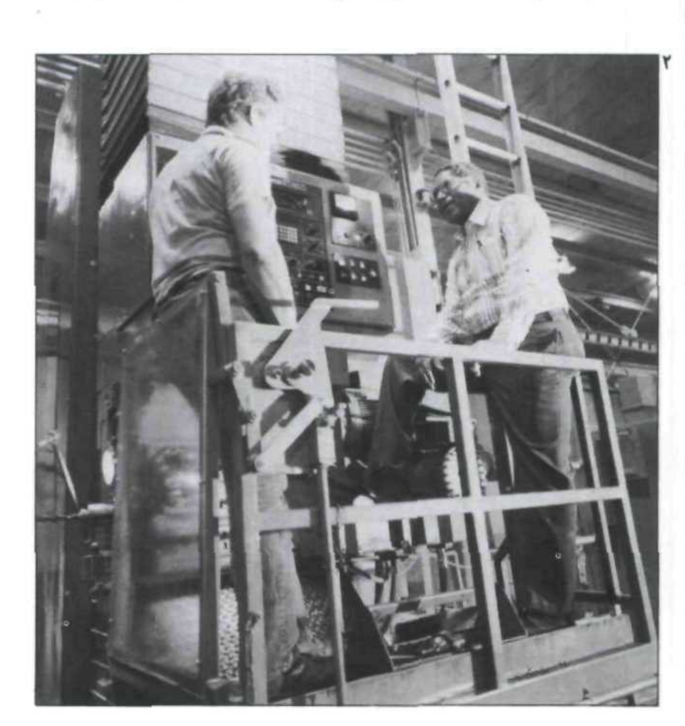
٢ – يقوم السيد عبد الله الغانم ، المسؤول عن مراقبة جودة مبدلات الحرارة ، بتفقد الحاسب الآلي في المثقب مع المستر « قاري كودبل » ممثل الشركة الصانعة .

ورقة في أرامكو

أما الاستعمال الرئيسي للمثقب الآلي فهو ثقب وشطف وتخريز الثقوب في صفائح وعوارض الأنابيب الدقيقة في المبدلات الحرارية باعتبارها أهم الأجزاء فيها . وهذه الأجزاء المهمة في المبدلات الحرارية التي تخضع لعمل المثقب الآلي هي عبارة عن حزمة من الأنابيب الدقيقة المعدنية ذات أقطار صغيرة جدا ، وهي موضوعة داخل أسطوانة يصل قطرها إلى نحو ستة أقدام وطولها عشرون قدما . ومن ميزات هذا المثقب أنه يساعد على اجراء اصلاح الأنابيب أو الأجزاء الأخرى في مبدلات الحرارة بشكل سريع ومتقن .

رأس تناقيب على عتبة تطور كبير

تشير الخطط المستقبلية التي وضعتها « أرامكو » إلى أن القطاع الساحلي والمناطق المغمورة الواقعة في الجزء الشمالي من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية ، ستشهد في غضون السنوات القليلة القادمة تطورا ملحوظا . فقد أخذت شركة « أرامكو » تعد العدة لتنفيذ سلسلة من المشاريع الرئيسية الجديدة في رأس تناقيب ، تتضمن اقامة منشآت ومرافق لأعمال انتاج ومعالجة الزيت الخام والغاز في منطقة الانتاج الشمالية التي أخذ فيها انتاج الزيت والغاز يرتفع تدريجيا ، أضف إلى ذلك انشاء شبكة لتجميع الغاز وغير ذلك من المنشآت المساندة لمرافق انتاج الزيت والغاز .


٢

ويقع رأس تناقيب على مسافة نحو عشرين كيلومترا إلى الجنوب من السفانية ، ونحو ١٥٠ كيلومترا شمال رأس تنورة . ومن المتوقع أن يتحول هذا القطاع الساحلي الهادىء في أواسط الثمانينات إلى منطقة نشطة تضج بالحياة والحركة حيث ستغدو مركزا لأعمال أرامكو الواسعة المتشعبة ، بما في ذلك الصيانة والخدمات البحرية المساندة والتدريب ، وهي أعمال مرتبطة بمرافق الانتاج في المنطقة الشمالية وكذا المنطقة المغمورة .

لقد شرعت أرامكو بوضع خطة لمنطقة تناقيب ذات ثلاث مراحل في خريف عام ١٩٧٩ ، حينما بادرت إدارة تخطيط المرافق في أرامكو بوضع الخطط الاولى لها ، ومن ثم شاركت في وضع تفاصيلها جميع الإدارات تقريبا في أرامكو . وقد أسفرت الخطة عن وضع جدول زمني يتم بموجبه تحويل منطقة تناقيب — السفانية إلى محور ارتكاز رئيسي لأعمال انتاج الزيت والغاز في المنطقة المغمورة . ولعل الدافع الرئيسي لتنفيذ هذا المشروع الضخم ، الذي يكلف بلايين الدولارات ، هو الانتاج الجديد للزيت الخام والغاز المرافق من حقول مرجان والظلوف ومنيفة .

ومن بين التطورات المقررة ضمن الإطار الرئيسي للخطة الموضوعة للمنطقة هو توسعة المعمل الموجود حاليا في السفانية لمعالجة جميع الزيت الخام الحلو الذي تنتجه أرامكو من الخليج العربي ، واضافة مرافق لتجميع

وضغط الغاز ، وانشاء مجمع صناعي جديد في تناجيب لمعالجة الزيت المر المحتوي على غاز كبريتيد الهيدروجين السام . ويشتمل المجمع الصناعي على مرافق لإزالة جزيئات الماء من الغاز الطبيعي ووحدات لتركيز الزيت الخام ، وشبكة لتجميع وضغط الغاز ، ومعمل للمنافع ، ومعمل لتحلية المياه الملحة بطريقة التناضح العكسي طاقته القصوى ستة ملايين غالون يوميا . كما تشمل الخطة انشاء مركز للتشغيل يقوم على جرف منخفض يطل على مياه الخليج في منتصف المسافة بين معامل السفانية وتناجيب . والجدير بالذكر أن الأعمال في المنطقة المغمورة قد ازدادت بشكل ملحوظ خلال السنتين الماضيتين ، إذ تم تركيب ٢٦ منصة ذات ست آبار ، و ٢٨ حاملة ثلاثية ، ومد ما طوله ١٣٤ كيلومترا من خطوط الأنابيب تحت الماء ، نتيجة للتوسع في برنامج الحفر . كما بدأ العمل في انشاء معمل جديد لمعالجة الزيت الخام الرطب طاقته ٦٠٠٠٠٠ برميل يوميا من حقل السفانية . كما سيتم قريباً الانتهاء من مضاعفة طاقة معمل فرز الغاز من الزيت في حقل منيفة على اليابسة . وبالإضافة إلى ذلك ، ستقوم أرامكو خلال العام الحالي باستخدام أربعة صنادل رفع جديدة لخدمة الآبار الجديدة في المنطقة المغمورة .

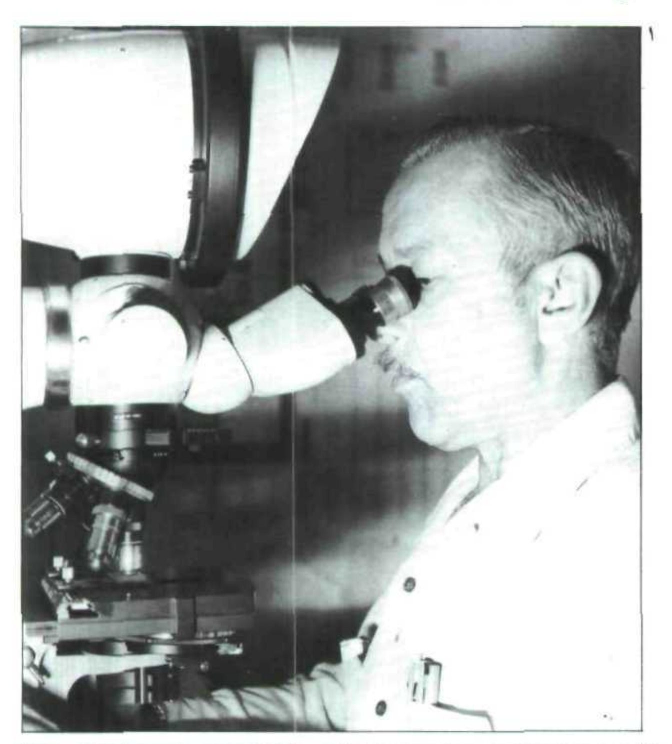
مرفق معالجة العينات الصخرية وتخزينها

تم مؤخرا انجاز المرفق الجديد لمعالجة العينات الصخرية من حقول الزيت في المملكة وتخزينها . وهذا المرفق الجديد القائم في منطقة الصناعات الخفيفة بالظهران ، وعندما يتم تجهيزه بالمعدات والأجهزة اللازمة ، سيكون قادرا على تخزين نحو ٣٥٠٠٠٠ قدم من عينات الصخور .

ومن ميزات هذا المرفق الجديد أنه يسهل بشكل كبير عملية دراسة عينات الصخور الجوفية ، لاسيما وأن الجيولوجيين والمهندسين يجدون في هذا المرفق جميع التسهيلات التي تجعل من الميسور عليهم الوصول إلى هذه العينات ودراستها ، وهو أمر كان حتى قبل انجاز هذا المرفق صعبا ، لأن العينات الصخرية كانت تحفظ في أماكن مختلفة ، مما يتعذر معه على الباحثين والجيولوجيين الوصول إليها بسهولة كما هي الحال الآن .

هذا وتبلغ مساحة المرفق الجديد لمعالجة العينات الصخرية وتخزينها ٣٦٠٠٠ قدم مربع . وهو يؤلف جزءا من مبنى مركز هندسة البترول والتنقيب المؤلف من سبعة أدوار □

١



٢



١ – الدكتور و . ف . فون ألمن ، يدرس بعض المستحاثات باستخدام مجهر خاص .

٢ – السيد عواض سعيد الزهراني رئيس وحدة المختبرات وتخزين العينات يتفقد المكان المخصص لحفظ العينات الصخرية .

الكحالة عند العرب

بقلم : الأستاذ عبد الجبار محمود السامرائي / العراق



يعرف « علم الكحالة » بأنه فرع من فروع علم الطب ، يبحث عن صحة عين الانسان وازالة مرضها . والكحالة لغويا : لفظة مشتقة من « الكحل » – بضم الكاف – الذي هو كل ما وضع في العين يستشفى به .

وعلم الكحالة – إذن – يقابل « طب العيون » . أما الطبيب المختص بهذا الفرع من الطب فيسمى « الكحّال » أو « طبيب العيون » .

نشأة الكحالة عند العرب

لم يكن للعرب قبل الإسلام وحتى زمن الأمويين سوى معرفة بسيطة بعلوم الطب عامة والكحالة خاصة ، لا تتعدى النصائح والتوجيهات والمعلومات الصحية العـــامة ذات الطابع العلمي البسيط والقيمة العلمية الزهيدة . فلما استتب لهم الأمر واستقر ملكهم في زمن العباسيين ، اتجهوا إلى تحصيل مختلف العلوم ، وقامت حركة ترجمة واسعة – خاصة في القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري – لنقل الكتب العلمية من اللغات الاغريقية والسريانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية ، وأسهم الخلفاء العباسيون أنفسهم بقسط وافر بتشجيع هذه الحركة ورعايتها ، إذ أمر الخليفة المأمون ٨١٣ – ٨٣٣ م بإنشاء دار خاصة للترجمة سميت « بيت الحكمة » : كانت تضم كثيرا من المترجمين الأكفاء ، أمثال « يوحنا بن ماسويه » و « حنين ابن اسحاق » و « اسحاق بن حنين » وغيرهم ممن لهم معرفة واسعة باللغات المختلفة .. وكانت

الترجمة تتم إما من اليونانية إلى العربية مباشرة . أو إلى السريانية . ومنها إلى العربية .

على أن الكحالين العرب لم يكتفوا بجمع المعلومات والنظريات الاغريقية والفارسية والهندية فحسب . بل تعدوها وأضافوا إليها تجربتهم وملاحظاتهم ومبتكراتهم كممارسين مهرة وحكماء حاذقين في هذا الفرع من الطب .. نذكر على سبيل المثال أنهم أدخلوا التخدير بالعقاقير في العمل الجراحي الذي ما كان معروفا لدى اليونانيين .. وابتكروا طرقا جديدة لإزالة ماء العين . لم يتطرق إلى ابتكارها أحد من قبلهم . واخترعوا إبرة مجوفة خاصة لامتصاص هذا الماء . بالإضافة إلى التجديدات والمبتكرات التي لا يمكن حصرها في مختلف أمراض العيون . حتى بلغوا مرتبة سامية تفوقوا فيها على مرتبة اليونان . وقد ساعدهم في ذلك اكتشافاتهم الناجحة في علم البصريات . ولعل السبب الآخر في هذا التقدم هو إعداد أطباء أكفاء لممارسة هذا الاختصاص . فما كان يسمح للكحالين بمزاولة اختصاصهم إلا بعد أن يجتازوا امتحانا يؤدونه أمام « المحتسب » الذي كان يمتحنهم « بمعرفة المقالات العشر في العين . فمن كان عارفا بتشريح طبقات العين وعدد رطوباتها وعدد أمراضها وأنواعها وما يتفرع من ذلك . وكان خبيرا بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير أذن له بمداواة أعين الناس » .

ولقد بلغ علم الكحالة العربي أوجه في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري متمثلا بكتابين مهمين هما : « كتاب تذكرة الكحالين » لعلي بن عيسى (توفي بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) . وكتاب « المنتخب في علاج أمراض العين » لعمّار بن علي الموصلي (توفي بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م كذلك) واعتبر هذان الكتابان أقصى ما وصل إليه علم الكحالة العربي من الكمال .

كيف مارس العرب الكحالة ؟

لوضع الدواء في العين . تستعمل آلة خاصة تسمى « الميل » الذي يجب أن يكون ممتلئا . غليظا . وأملس جدا . ولوضع الدواء في العين اليمنى : يجب أن تفتح العين بالابهام من اليد اليسرى والسبابة من اليد اليمنى للفاحص ؛ ويمسك الميل بالابهام والوسطى « من اليد اليمنى » ثم يوضع الميل من المأق الأكبر إلى المأق الأصغر . ثم تنحني السبابة ويخفف ابهام اليسرى على الجفن ويوضع في العين بفتلة فإنه أصوب .

أما العين اليسرى فتفتح بالخنصر من اليد اليمنى والابهام من اليسرى ويوضع الميل من المأق الأكبر إلى المأق الأصغر بفتلة .

وإذا أريد استعمال « الذرور » فيجب أن يوضع في المأقين بين الأجفان . وأن لا يلامس «الميل» أرض العين بل يودع ويفتل «الميل» إلى أسفل فيبقى الدواء ولا يدخل « الميل » إلى العين .

ويجب أن لا يستعمل «الميل» في العين في حال اصابتها بالرمد الصديد . وإذا عولجت العين بدواء حاد فيجب أن ينظر حتى يزول مضضه وأثره البتة ثم يتبع بميل آخر فإن ذلك أبلغ وأجود من أن يردف بعضه على بعض .



وإذا أريد فتح العين فيجب أن يرفع الجفن بتأن ويرد برفق ، ولا يعجل برده .

ولقلب الجفن بقصد حكه بالدواء ينبغي أن يمسك رمش الجفن بالابهام والسبابة من اليد اليسرى ويجذب الجفن باتجاه الطبيب « الكحّال » ويكبس وسطه بملعقة الميل حتى ينفتح وينقلب ثم يحك : باستقصاء وبأناة لا بعجلة ، وإذا قلب الجفن فيكون قليلا قليلا ، ولا يسمح للجفن أن يرجع من تلقاء نفسه ، فإنه رديء ، بل يرد ببطء .

ويذكر أن الكحالين العرب قد مارسوا عمليات جراحة العيون دون أن تتوفر لهم وسائل التخدير الموضعية أو العامة ، سوى النزر اليسير ، فقد اعتمدوا على الوسائل النفسية ، وكانوا حاذقين لدرجة أنهم كانوا يقومون بالعملية بوقت قصير .

انتقال الكحالة إلى الغرب

لقد ترجم الغربيون كتاب « العشر مقالات في العين » لحنين بن اسحاق بواسطة قسطنطين الافريقي (توفي سنة ٤٨٠هـ) ونسبه إلى نفسه تحت عنـوان « Liber de Oculis Constantini Africani » ، فبقي هذا الكتاب لفترة طويلة يعد الكتاب العربي الوحيد في الموضوع الذي يمكن الحصول عليه باللغة اللاتينية ، حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي عندما ترجمت الموسوعات الطبية العربية ككتاب (الملكي) لعلي ابن العباس إلى اللغة اللاتينية ، فأصبح بالإمكان الحصول على معلومات طبية كثيرة عن العيون ضمن المواضيع الطبية المختلفة التي تناولتها تلك المؤلفات .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) ترجم كتاب « المنتخب في علاج أمراض العين » لعمّار الموصلي إلى اللغة اللاتينية — ترجمة غير حرفية — بواسطة « ديفيد ارمينياكوس) ، ونشر في البندقية في السنوات (١٤٩٧ م ، ١٤٩٩ م ، ١٥٠٠ م) تحت عنوان :

« The Tractatus de Oculis Canamusli »

أما كتاب « تذكرة الكحالين » لعلي بن عيسى ، فقد ترجم ترجمات عديدة في العصور الوسطى منها ترجمتان لاتينيتان ، احداهما تحت عنوان :

« Liber memorials ophalmicorum »

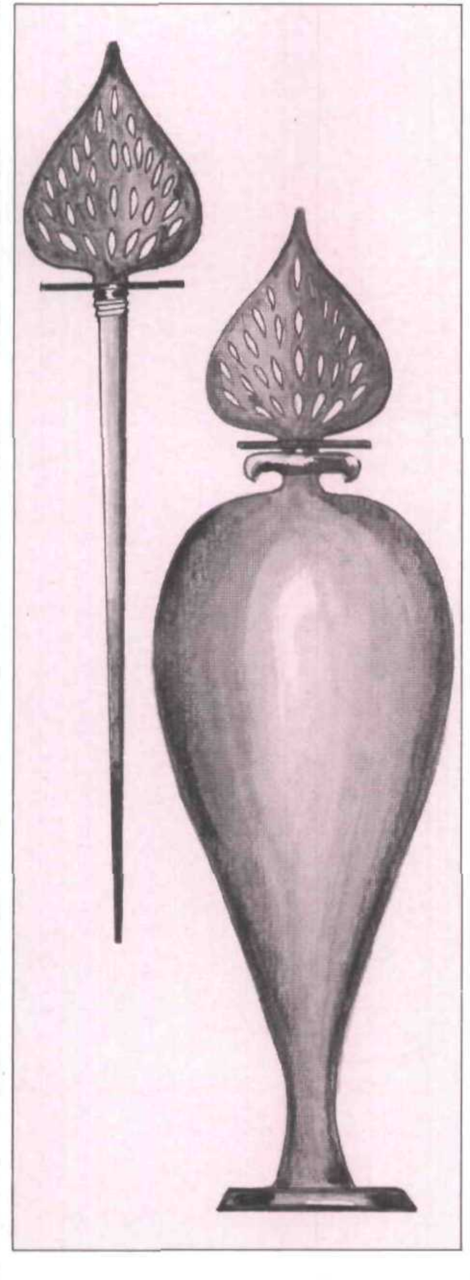
والأخرى تحت عنوان : « De Cognitionce Infirmitatum Oculorum et Curatione Eorum » التي طبعت في البندقية في السنوات ١٤٩٧ م ، ١٤٩٩ م ، ١٥٠٠ م . وصدرت أعمال أخرى تحت عنوان : « Coll. Chir. Venta » بصورة ملحق للطبعات القديمة من كتاب الجراحة " Guy de Chauliac " .

كما ترجم إلى اللاتينية كل من كتاب : « دغل العين » ليوحنا بن ماسويه — الذي بلغ شهرة عظيمة — ولكنه نسب خطأ إلى القديس « يوحنا الدمشقي » وكتاب « العشر مقالات في العين » لحنين بن اسحاق .

وذاع صيت الكحالين العرب في الغرب اللاتيني ، فاشتهر عمّار الموصلي باسم "Cana Musli" ، وعلي بن عيسى باسم "Jesu Haly" وعرف حنين بن اسحاق باسم "Joannitius" ، ويوحنا ابن ماسويه — في عصر النهضة — باسم "Mesue the Elder" وبقيت كتبهم من أبرز الكتب المدرسية في أمراض العيون وأهمها ، وأصبحت مراجع قيمة لا يستغني عنها طلاب هذا الفرع من الطب في أوروبا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي .

وعلى الرغم من أن الكحالة عند العرب بعد القرن السادس الهجري / الثامن عشر الميلادي ، بدأت تجمد وتخلو من الابتكار ، فانها بقيت أفضل منها في الغرب ، فكانت المؤلفات العربية في تلك الفترة من الزمن أحسن تصنيفا وأعلى قيمة من المؤلفات الأوروبية . وقد اعترف بذلك المستشرق الدكتور « ماكس مايرهوف » حيث قال : « لا مندوحة لنا عن التسليم بأن المؤلفات العربية في طب العيون ، حتى ما جاء منها في عصر الانحطاط تفوق بدرجة عظيمة الكتب التي ظهرت في أوروبا قبيل سنة ١١٠٠ هـ / ١٧٠٠ م » □







ما دام العالم الذي نعيش فيه يتعامل بعشرات من اللغات ومئات من اللهجات ، فستظل صناعة الترجمة ضرورة يومية من ضرورات الحياة لا غنى للإنسانية عنها . ولن تنتفي الحكمة من الترجمة إلا إذا صار للعالم كله لسان واحد يتكلم به ، فلا رطانات ولا لهجات ولا عاميات ، وهو احتمال بعيد لاعتبارات شتى . وفي وقت قريب العهد بنا ، نشط بعض الدعاة للترويج للغة عالمية أسموها « بالاسبرانتو » ، وأخذوا يفتحون الفصول لتعليمها في بلاد شتى ، ويصدرون الكتب والنشرات التي يستعان بها في دراستها بالمراسلة أو بالتلقين ، ولكن هذه المحاولات لم تلبث أن تضاءلت حتى كاد الناس ينسون « الاسبرانتو » ولا يعرفون عم يشير هذا المصطلح .

وعندما نشأت هيئة الأمم المتحدة ، وهي هيئة مفروض فيها أن تحاول التقريب بين دول العالم المختلفة وتحقيق التفاهم الكامل بين أعضائها في جميع ميادين الثقافة والاقتصاد والسياسة وما إليها ، لم يتجه التفكير أبدا إلى اعتماد لغة واحدة للتفاهم فيها وفي الوكالات والمنظمات المتفرعة عنها ، كما كان المنطق يدعو إلى ذلك ، بل اتخذت من لغات الدول الخمس الكبرى مضافا إليها اللغة الأسبانية لسعة تداولها ، لغات رسمية للهيئة ، ثم أضيفت إليها لغات أخرى منها العربية . أي أن هيئة الأمم المتحدة بدلا من أن تحاول الاقتصار على لغة أو لغتين ، وسعت نطاق اللغات المتداولة فيها نزولا على إرادة الدول من أعضائها ، وليس بينها دولة كبرى أو صغرى على استعداد للتخلي عن لغتها القومية التي تمثل عنصرا هاما من عناصر ذاتيتها وكيانها الحضاري .

ومن مؤدى هذا الوضع أن يستعان بخبراء الترجمة لنقل المناقشات والمحادثات والتقارير والمكاتبات والمؤلفات من لغة إلى لغات أخرى ، وإلا ، تقطعت أوصال العالم وتحولت دوله وشعوبه إلى جزر منعزلة عن سائر دول العالم وشعوبه . وبفضل المترجمين والنقلة أصبح في وسع العالم كله أن يتابع خطبة باللغة البنغالية مثلا ، أو يقرأ كتابا ألف أصلا بلغة نيبال ، أو يفهم قصيدة نظمت باحدى لهجات الصين . وتأكيدا لأهمية دور المترجمين ، أصبح لهم مكان في كل محفل أو مؤتمر أو زيارة رسمية أو مفاوضات أو قضايا معروضة على التحكيم أو تعاقدات أو دور صناعة أو تجارة أو مصارف أو أنشطة

سينمائية وهلم جرا .

ومع تشابك العلاقات بين الدول والشعوب والأفراد ، اشتدت الحاجة إلى تهيئة المترجمين الأكفاء الذين ينهضون بالمهمة المسندة إليهم في سرعة وأمانة وتدقيق . والخطأ في الترجمة ولاسيما إذا تناولت تعاقدات وأمورا مالية ، يؤدي أحيانا إلى كثير من المغارم الباهظة . ومن ذلك مثلا أن عقدا أبرم لإنشاء مصنع للخزف ، ولكن المترجم « اللوذعي » وصفه بأنه مصنع للفخار ! ولما تم انشاء المصنع بنفقاته الضخام ، تبين المتعاقدون أنه يخرج لهم أواني فخارية تصنع عادة صناعة يدوية ممتازة ، ولا قبل للمصنع بإنتاج الخزفيات ، وهي قصة روتها مجلة « الايكونومست » الانكليزية في حينها لتدلل بها على تكلفة أخطاء الترجمة . وكم من أزمات نشأت بسبب أخطاء الترجمة ولم تتدارك آثارها إلا بشق الأنفس .

ولا بديل للمترجم مادام العالم قد أصبح سوقا منصوبة للرطانات ، ولا غنى عن الترجمة مادامت أسباب التعامل اليومي بين الدول والأفراد والهيئات تجري بألسنة كثار . وهكذا أصبح المترجم ثالثا بين كل اثنين ، وعنصرا مساعدا على الفهم في المحافل المائجة بالبلبلات اللغوية . وقد روت الأخبار أن الحاسب الإلكتروني (الكمبيوتر) قد نجح في الاضطلاع ببعض وظائف الترجمة ، وأنه لن يلبث أن يحتكرها جميعا . ولكن رواة هذه الأخبار ينسون أن الحاسب الإلكتروني ليس أديبا ولا مفكرا ولا صائغ أساليب ، وإنما هو آلة تعمل وفقا للقوالب التي تملي عليها والبيانات والمفردات التي تخزن فيها . وقصارى ما يتقنه الحاسب الإلكتروني هو أن « يترجم » عبارات مرصوصة سبق تلقينها له دون أن يدرك ما قد يحيط بها من ملابسات أسلوبية أو صياغية أو أدبية ، ودون أن يستطيع التصرف في هذه العبارات المرصوصة إذا دعا إلى ذلك داع . وقد ينجح الحاسب الإلكتروني في أن يصبح مستودعا لجميع ألفاظ المعاجم ، ولكن حاشا له أن يصوغ أي مصطلح جديد ، أو أن يفطن إلى ظلال المعاني التي تحيط بالألفاظ المجردة ، أو أن يقوم بتركيب عبارات سليمة من مجموعة من هذه المفردات المحشوة في أحشائه . فإن تحدثنا عن اللغة العربية ، فكيف يتأتى للكمبيوتر أن يفرق بين الأسماء المنصوبة أو المرفوعة حسب وضعها في سياق الكلام ؟ وكيف له أن يعرف الفرق بين اسم أن وخبر كان لتخرج العبارة منه سليمة لغويا . وكيف للكمبيوتر أن يعرف تمييز العدد ، والمثنى والمؤنث وغير ذلك من الخصائص اللغوية التي لا يستقيم كلام دون اتقانها .

فقد يتقن الكمبيوتر ترجمة ميزانيات الشركات مثلا ، وكلها قائمة على مصطلحات منفردة مثل « أرصدة » ، « ديون » ، « ودائع » ، « خصم » ، « رهونات » وما إليها من الالفاظ التي تستخدم في تعريف بنود الحسابات المختلفة ، ولكن الكمبيوتر لا يستطيع ترجمة عبارة جديدة على مخزونه من المفردات . بل إن أي تغيير بالتقديم أو التأخير في صياغة العبارات يترتب عليه عجز الحاسب الإلكتروني عن « الترجمة » .

بل إننا لو انسقنا مع المتفائلين بمستقبل الحاسب الإلكتروني كمترجم ، لقلنا أن هذا المستقبل لن يتحقق له إلا إذا قام بمهمته مترجمون اكفاء يغذونه بكل ما يخطر على البال من تركيبات وتعبيرات لغوية ولو بلغت الملايين عدا ، ليتأتى له أن يخرجها من احشائه كلما اقتضاه مقتض . « فعلم » الكمبيوتر مكتسب أصلا من « أساتذته » الذين يغذونه بالمادة العلمية ، فإن أخطأ الأساتذة ، أخطأ الكمبيوتر ، وإن رسموا له حدودا ضيقة تصرف في نطاق هذه الحدود ولم يجاوزها ، وإذا ألزموه بعبارات معينة استعصى عليه أن يتصرف على نحو مغاير لهذه العبارات المعينة .

ومن هنا يصح القول بأن مستقبل صناعة الترجمة مرهون بالمترجمين والنقلة لا بالآلة مهما أصابت من التوفيق في ميدان النقل . فالمترجمون هم الذين يحملون العبء الأكبر في ترجمة المصطلحات ، وصياغة المعاني من لغة أجنبية مستقلة إلى لغة أجنبية أخرى لا تقل عنها استقلالا . وهم الذين ينقلون كل مستحدث من الآراء ، كل جديد من المبتدعات وكل متراكب من العمليات ، وكل معقد من المعاني من لغة إلى لغة أخرى ومنها إلى لغات العالم أجمع . والمترجمون يتمم بعضهم على البعض الآخر . فإذا جاء مترجم ونقل أثرا من لغات الأمهرية مثلا إلى اللغة الانكليزية ، جاء من بعده مترجمون آخرون يجهلون الأمهرية ، وقاموا بنقل النص الانكليزي إلى لغات اليابان والهند واندونيسيا وإلى اللغات الأفريقية المختلفة .

وبفضل المترجمين ، أصبحت الفلسفات والنظريات والمخترعات والآثار الأدبية والفكرية عالمية ، وتكاملت الثقافات والحضارات بين دول العالم المتباعدة . فالدنيا كلها باتت تعرف « طاغور » الهندي و « اقبال » الباكستاني و « كانت » الألماني و « ديكارت » الفرنسي و « اسبينوز » الأسباني و « أينشتين » الأمريكي و « شكسبير » الانكليزي و « برنارد شو » الارلندي و « باسترنال » الروسي و « سنجور » الأفريقي و « دانتي » الايطالي و « سقراط » اليوناني و « ابن سينا » العربي و « ناظم حكمت التركي ، وباتت تعرف « فرويد » و « داروين » و « هوميروس » و « الادريسي » و « الخوارزمي » و « ابسن » و « سترندرج » و « شبنجلر » وغيرهم وغيرهم دون أن تسأل عن جنسياتهم . فالمترجمون قد نقلوا الآثار الفكرية لهؤلاء جميعا بلغات الدنيا جميعا ، كما نقلوا مخترعات أديسون وماركوني وباستير وكوري ونيوتن ورونتجن وأمبير وفلمنج ونيلزبور وأنريكوفيرمي وغيرهم وغيرهم إلى جميع لغات العالم ، فجاء من بعدهم علماء يبدأون من حيث انتهى هؤلاء ويضيفون جديدا إلى ركب العلم وركب الحضارة في العالم كله .

فالمترجمون هم الجنود المجهولون في المساعي الدولية والاقليمية التي تبذل للتقريب بين الشعوب والحضارات والثقافات وأسباب التقدم العلمي . وأي تفكير في المستقبل العلمي أو الصناعي أو الأدبي أو الاقتصادي أو الفني للعالم لا يسعه أن يغفل الدور الهام الذي تضطلع به الترجمة في هذه المضامير ، وستظل الترجمة عملا بشريا يتولاه المترجمون الذين هم من لحم ودم مهما جرت المحاولات « لميكنة » الترجمة وجعلها أداة من أدوات الماكينات والآلات التي تدار بالأزرار .

وإذا كان بناة برج بابل قد عجزوا عن اتمامه عندما تبلبلت ألسنتهم وعز التفاهم بينهم ، فإن صرح الحضارة في العالم يتعثر أشد تعثر إذا تجوهل دور الترجمة في إتمام هذا الصرح □

أخبــــــــــار

* مــن كتب الصــور الانسانية والتجارب الذاتية التي صدرت أخيراً كتاب « أشتات من الناس » للأستاذ محمد زكي عبد القادر وفيه حديث عن طائفة من الشخصيات الحقيقية المتفاوتة السمات والخصائص ، وقد قام المؤلف بتحليلهــا واستخلاص العبرة الأخلاقية والانسانية منها . ونشر الكتاب في سلسلة « كتاب اليوم » .

* صدر للدكتور حسين مجيب المصري الذي عرف بتخصصه في الآداب التركية والفارسية والعربية ، صدر له ديوان شعر جديد هو الديوان الحادي عشر له واختار له عنوان « شوق وذكرى » ونشرته مكتبة الأنجلو المصرية .

ويتميز شعر الدكتور المصــري بالرمزية الرومانسية ، باثاً الحكمة في مضامين شعره ، مازجاً الفلسفة بالخيال ، مما يجعل لشعره مذاقاً خاصاً هو نتاج ثقافات الشاعر الواسعة .

* « الوطن الآخر : سندباديات في شوارع أوربا الخلفية مع المهاجريــن العرب » كتاب للصحفي صلاح هاشم نشرته دار الآفاق الجديدة في بيروت بمقدمة للدكتور غالي شكري . ويضم الكتاب مجموعة من الأحاديث الأدبية والفنية والاجتماعية أجراها المؤلف مع طائفة من العرب المقيمين في احدى عشرة دولة أوربية . والكتاب هو الحلقة الأولى في سلسلة السندباديات التي يصدرها الكاتب ، وهو بدوره مقيم في أوربا بصفة دائمة .

* كتاب جديد صدر في حلب عنوانه « تاريخ الباحثين في تاريخ العلوم عند العرب المسلمين » من تأليف الدكتور سامي خلف حمارنة .

* صدرت الطبعة الثانية من كتاب « أطفالنا وكيف نسوسهم » للاستاذ الاجتماعي الراحل يعقوب قام وذلك ضمن سلسلة « كتاب الهلال » .

* « علــم السكان وقضــايا التنمية والتخطيط لها » عنوان كتاب للدكتور صفوح الأخرس صدر عن وزارة الثقافة السورية .

* المايسترو يوسف السيسي الذي قاد الفرق الموسيقية في البلاد العربية والأوربية صدر له كتاب علمي عنوانه « دعوة الى الموسيقى » في سلسلة « عالم المعرفة » التي تنشر في الكويت .

* صدر للأديب الراحل أنطون غطاس كرم كتاب « حياة وأدب جبران خليل جبران » ونشرته دار النهار .

* يصدر للأديبة العربية السيدة سلمى الحفار الكزبري كتاب جديد يضم مئات من رسائل الأديبة الراحلة ميّ الى أعلام الأدباء في عصرها ، مصورة بخط يدها .

وقد منحت السيدة سلمى في العام الحالي جائزة البحر المتوسط للأدب التي تمنحها سنوياً الهيئة الثقافية في باليرمو بصقلية للأدباء الذين يوثقون العلاقات الفكرية بين العالم العربي وأوربا . وسبق للهيئة أن منحت هذه الجائزة للأدباء توفيق الحكيم وعيسى الناعوري وفدوى طوقان ومحمود درويش ، وهي جائزة أدبية ومادية .

وبمناسبة منح الجائزة ، أقيم احتفال كبير في باليرمو وزعت فيه قصائد وآثار الشاعرة سلمى الحفار الكزبري مترجمة الى اللغة الايطالية .

* صدرت في القاهرة دراسة عــن « أزجال بيرم التونسي » أعدّها الأستاذ يسري العزب ونشرتها الهيئة المصرية .

* في الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : طبعة ثانية من « ثرثرة فوق النيل » للأستاذ نجيب محفوظ وقد نشرت في سلسلة « كتاب اليوم » ، و « مسرحية اللصوص » لفريدرش شلر وترجمــة الدكتور عبد الرحمن بدوي ونشر وزارة الاعلام في الكويت ، و « الأفيال » رواية طويلة للأستاذ فتحي غانم ونشر روز اليوسف ، و « ومن الضحايا » رواية للأستاذ محمد العروسي المطــوي ونشر الــدار العربية للكتاب ، و « الأيام العصيبة » مجموعة أقاصيص للأستاذ محمد جبريل ونشر الهيئة المصرية ، و « ليل آخر » رواية للدكتور نعيم عطية ونشر القاهرة ،

الكتب

و « ثلاثية الاصطياف » لكارلو جولدوني ، وهي ثلاث مسرحيات عن الاصطياف هي : التطلع الى المصيف ، ومغامرات المصيف ، والعودة من المصيف ، وقد ترجمها الأستاذ سعد أردش ونشرتها وزارة الاعلام في الكويت بمراجعة الدكتور سلامة محمد محمد سليمان .

* من كتب السير والاعلام صدرت طائفة جديدة منها : « أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة » للأستاذ محمد علي مغربي وقد صدر في سلسلة « الكتاب العربي السعودي » و « أعلام الاصلاح في الجزائر » للأديب محمد علي دبوز ونشر الجزائر ، و « ثروت أباظه الفلاح الأرستقراطي » للأستاذ محمود فوزي ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة » للدكتور علي محمد الفقي ونشر دار المعارف في سلسلة اقرأ .

ومما يذكر أن الزيات كان موضوع كتاب كبير أصدره الدكتور محمد رجب البيومي في الرياض ، وكتاب كبير آخر أصدره الأستاذ جمال الدين الألوسي ونشره في بغداد ، كما أن دار الرفاعي السعودية تتأهب لنشر كتاب جديد عن الزيات للأستاذ محمد سيد محمد . وتحت الطبع كتاب لم يسبق نشره للأديب الراحل محمد كرد علي عنوانه « المعاصرون » ،وكتابان عن « مي » و « جبران » للدكتور رؤوف سلامة موسى ونشر دار المستقبل .

* أصدر مجمع اللغة العربية الأردني كتاب « محاضرات الندوة الاعلامية المشتركة » وفيه طائفة من الدراسات عن اللغة والترجمة وعلوم الاتصال شارك في اعدادها الدكاترة سعيد التل وعبدالكريم خليفه وعيسى الناعوري ومحمود ابراهيم وسواهم .

* « شهادة من الميدان » عنوان كتاب للأستاذ شكيب الأموي صدر عن الدار التونسية للنشر يروي فيه ذكرياته عن حرب فلسطين .

* عدد خاص عن « قضايا الشعر العربي المعاصر » أصدرته مجلة « الفكر » التونسية شارك في اعداد مادته مؤسس المجلة معالي السيد محمد مزالي « رئيس وزراء تونس » ورئيس تحريرها السيد البشير بن سلامه ، وزير الثقافة التونسي ، والدكاتره ناصر الدين الأسد ومحي الدين صابر وجعفر ماجد والأساتذة خليفة محمد التليسي وسليمان العيسى وأدونيس وغيرهم .

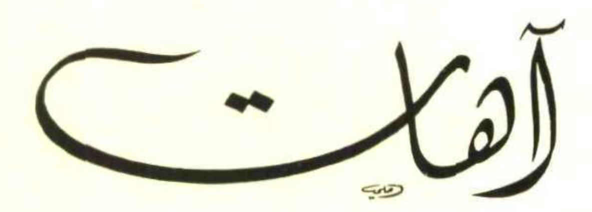
* من الكتب الاسلامية الجديدة التي صدرت « مسار الدعوة الاسلامية في لبنان خلال القرن الرابع عشر الهجري » لمفتي لبنان الأستاذ حسن خالد ونشر بيروت ..

* في الشعر صدرت الدواوين التالية : الجزء الأول من « ديوان عمر يحيى » بمقدمة للأستاذ قدري العمر ونشر وزارة الثقافة السورية ، و « بعض هذا العقيق » للشاعر فتحي سعيد ونشر الهيئة المصرية ، و « الرياح العاصفة » للأستاذ ممدوح مولود ونشر دمشق ، و « الشبح » للأستاذ سعد الدين كليب ونشر حماه .

* أصدرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كتاباً عنوانه « استراتيجية تطوير التربية العربية » ونشرته في بيروت .

* من الكتب الأدبية الجديدة ما يلي : « لغة الشعر » للأستاذ احمد يوسف داود و « دراسات نقدية في الرواية والقصة » للأستاذ عبد الرزاق عيد وكلاهما من نشر وزارة الثقافة السورية ، و « مطولة علي أحمد باكثير » وهي محاضرة للأستاذ حلمي محمد القاعود ونشرها نادي جازان الأدبي ، و « من مفكرة رجل لم يولد » وهي خواطر للأستاذ يوسف القويري ونشر الدار العربية للكتاب ، وجزءان من « حكايا بلاد فارس القديمة » للفردوسي ومن تأليف ليوني بيكار وترجمة السيدة أوديت سلوم ونشر دمشق .

* يصدر قريبا كتاب تذكاري عن العلامة الراحل الشيخ مصطفى عبد الرازق أستاذ الفلسفة الإسلامية وشيخ الأزهر الأسبق . وقد أسهم في تحرير فصول هذا الكتاب أساتذة الفلسفة وأعضاء المجمع اللغوي والمخضرمون من عارفي الشيخ عبد الرازق □



آهات

شعر : سلمان هادي الطعمة / العراق

صـدعَتْ شبـابي قبضـةُ الألـمِ　　وتَصبغتْ بيـضُ المنى بـدمي
وتعـذّر الصـبرُ الجميـلُ فـلا　　يسلو الفـؤادُ بنشـوةِ النّعـمِ
فيـم الخطـوبُ تثيرُ عـاطفتي　　وتبثُ فيّ الوجـدَ كالحمـمِ
مـازلتُ أنـدبُ وحشـةَ الظُّـلَمِ　　وأنـوح منطـويا عـلى ألمـي
كَمْ من حديث بت أسـكبُـه　　تحتَ الدّجـى عن خـاطرٍ كَلِمِ ؟
وبقيتُ مضطـربَ الفـؤادِ كـمَن　　أضـحَى رهينَ الهمّ والسّقَـمِ
النفسُ يـا دنيـايَ موحشـة　　وَصبـابتي فَنِيتْ ولـم تـدُمِ
صـدعَتْ شبـابي قبضـةُ الألم　　حتى ضـجرتُ كأيّ مهتضـمِ
أشكو الحيـاة لأنهـا سُقِيَت　　بالنـائبـاتِ السـودِ والنِقَـمِ
وشـدائدُ البـلوى مزمجرة　　بالويـلِ والحسراتِ والنـدمِ
يا للعـذابِ !! ويا لشـدتـه　　بـين الضـوع يفيض بالألـمِ
وأحَـرٌ من جمـرِ الغضـا نشِبَتْ　　فيهـا الهمـومُ وأثقلَتْ سـأمي
أينَ الحنـينُ يطـوف مختلجـاً ؟　　قلبي لينطـقُ شـوقُه بفمي
وأنـا هنـا في وحـدة وأذًى　　أشْـدو الأسـى ولـواعجَ الضّرمِ
أين المفـرُ ؟ أليس يجمعُنـا　　طـربٌ يفُـل عـزائمَ الألـمِ ؟
اليـأسُ يغمـرني ويطمـرُني　　في غـورِ حُزْني واهي القـدمِ
والمـدمع الهتّـانُ متّصـل　　في زفـرتي الحرّى وفي نغمي
يـا ذكريـاتٌ إلامَ عالقـة　　بالنفسِ ، والأحشـاء في ضـرَمِ ؟
بُـوحي فديتُـكِ صـادق القَسَم　　بلـواعج الأحـزان والسـأمِ
مـا لي وللأيـام موحشـة　　قـد جللَتْهـا ظلمـةُ العَـدمِ
قسـماً بحـقّي لستُ أنـكرهُ　　بالنـورِ ، والأفـلاك ، والذّمـمِ
رافقتُ أشباحَ الضّنـى فغـدا　　قـلبي يشاطرُ موكبَ الظُلَـمِ
كفـيّ النـواحَ لأنّ موعـدَنا　　يُهْـدِي القلـوبَ روائعَ الكلمِ

نسخة من القرآن الكريم تعود إلى القرن الرابع
عشر الميلادي عرضت في متحف « فرير » بواشنطن

وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى
يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما
أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها

سورة عبس اثنتان وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه
الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من
جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره
في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قتل
الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره

نماذج من روائع الفن الاسلامي في عصر المماليك . راجع مقال « روائع الفن المملوكي »

